بسم الله الرحمن الرحيم

حكم جند الطاغوت

الإصدار الثاني

تأليف

الشيخ أبي مريم عبد الرحمن بن طلاع المخلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الحكم في النوازل يحتاج إلى معرفة الواقع ثم معرفة ما يوافق هذا الواقع من حكم شرعي وهذا مجمع عليه بين أهل العلم وهو ما يسمى عند الأصوليين تحقيق المناط بل لا يخالف فيه عاقل.

ومسألتنا هذه من النوازل التي يجب أن نعرف حقيقتها فنقول معرفة حال جند الطواغيت لا يحتاج إلى نظر كثير فحالهم ليست كحال المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويعرف نفاقهم بلحن القول كما قال تعالى {وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}[محمد:٣٠] .

فجند الطاغوت تراهم ليل نهار في أعمالهم يقومون بما يأمرهم به الطاغوت من أجل الحصول على راتب كل آخر شهر مقابل هذا العمل فلا يكاد يخلو بيت من عسكري سواء كان يعمل في الجيش أو الشرطة أو الحرس الوطني .

ومن أعظم أعمال جند الطاغوت حماية الطاغوت أي الدستور وحمايته والقيام على تنفيذه وإلزام الناس به ومعاقبة من يخالفه فمتى ما حكم الطاغوت بحكم سواء كان الحكم قضائي أو تنفيذي هؤلاء الجند هم من يقوم بإلزام الناس بهذا الحكم وكل من لا يلتزم هذا الحكم يعاقب لعدم التزامه بحكم الطاغوت ومثل هؤلاء من أعظم أعوان الطاغوت بل هم أولياء الطاغوت الذين حكم الله بكفرهم كما قال تعالى{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة:٢٥٧] فالطاغوت ما هو إلا قوانين مجموعة في كتاب واحد وضعها بعض مشرعي القوانين وتشريع هذا القوانين إما

عن طريق خبراء دستوريين أو عن طريق المجالس التشريعية الكفرية وهذا الطاغوت يشمل بنود كثيرة منها ما هي أصول يقوم عليها الطاغوت وهي أم الطاغوت عندهم كما أن لكتاب الله تعالى أم يرجع لها كل متشابه فكذلك للطاغوت أم يرجع لها عن الاختلاف والتشابه ومنها ما هي فروع لهذه الأصول تبنى على الأصول فمن رام نقض أصل الطاغوت عندهم فقد رام هدم دينهم فتراهم يثأرون لدينهم كما يثأر الليث الحرب وإذا ذكر لهم ما يناقض أصول دينهم اشمأزت قلوبهم كما قال تعالى{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}[الزمر:٤٥] وإذا ذكر الطاغوت استبشروا أتم الاستبشار فقدموا له واجب الطاعة وتمام الانقياد والاستسلام والاحترام والثناء ومن سخر منه أو سبه أو طعن فيه فهذا استحق العقوبة كما أن أهل الإسلام يعظمون كتاب الله تعالى ويعاقبون من خالفه أو طعن واستهزأ به بل تجد هؤلاء المشركين يبالغون في عقوبة من طعن في طاغوقم وما ذلك إلا لشدة إيمانهم بهذ الطاغوت فهم لا يرقبون فيمن كفر بطاغوتهم إلاً ولا ذمة فإن كان لم يصدر منه إلا الكفر بالطاغوت فقط فهذا على دينهم يجب أن يبعد كما قال تعالى عن أعداء الرسل {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـــكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ}[إبراهيم:١٣] وقال {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}[الأعراف:٨٨] وقد يصل إلى القتل والعذاب كما قال تعال ى{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[يس:١٨] وقال {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً}[مريم:٤٦] وقال {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ}[هود:٩١]و قال تعالى {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً}[الكهف:٢٠] وهذا غير التسفيه والتضليل

والاتهام بأشنع التهم لمخالفتك لهم في أصل دينهم وكفرك بمعبودهم كما قال تعالى {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}[هود:٢٧] .

ثم إن هذا الطاغوت له شروح وتفاسير ومذكرات يعتمد عليها عند الخلاف وكل يحاول أن يستفرغ وسعه لتفسير وشرح بنود الطاغوت ويرجع إلى كتب الشروح لغيره من الطواغيت حتى يستفيد منها في شرح طاغوته فكما أن لكتاب الله تعالى تفاسير وشروح وأئمة يرجع لهم في تفسير كتاب الله تعالى فكذلك لهذا الطاغوت شروح وتفاسير فأي كفر بعد هذا الكفر وأي ضلال بعد هذا الضلال لمن يتوقف في الحكم على من عبد هذا الطاغوت بالخروج من الإسلام والردة عن الدين .

ثم هذا الطاغوت يقوم أولياء له أخر بالحكم به بين الناس وإلزام الناس به ومن هؤلاء الذين يقومون بهذه الغاية جند الطاغوت بل هي وظيفتهم الرئيسية فهي القوة بالنسبة للطاغوت وأما المشرعين فهم أصحاب الرأي ولا يتم الحكم بالطاغوت إلا باجتماع الرأي والقوة وهذا الأصل عقلي وشرعي في كل دين سواء كان هذا الدين حق أم باطل .

فإن حكم الله تعالى لا يتم الحكم به إلا باجتماع أهل العلم والرأي والأمراء وهم أصحاب القوة هنا لذا فسر أهل العلم قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}[النساء:٥٩] وفسرها أهل العلم بأولي الأمر هنا العلماء والأمراء فكما أن الله تعالى يأمر بطاعة العلماء والأمراء

فكذلك الشيطان يأمر باتباع أولياؤه من أهل الرأي وأهل القوة وكما أن الله تعالى يأمر بعقوبة من خالف أمر الله تعالى فكذلك الشيطان يأمر بعقوبة من خالف حكمه وتتم هذه العقوبة عن طريق أولياؤه يحكم أهل القضاء والرأي بالعقوبة وينفذها أهل القوة فهذه بعض حقيقة حكم الطاغوت وحقيقة جند الطاغوت ولا يخالف مسلم بأن هذه الوظيفة من أعظم الكفر المخرج من الملة ولا يكون المرء مسلما حتى يكفر بالطاغوت ومثل هذا الفعل من أعظم الإيمان بالطاغوت فإذا كان من آمن بالطاغوت ولو ظاهرا وهو يبغضه باطنا ولو مرة واحدة يكفر إن لم يكن مكرها فكيف لو دخل في طاعته وحمايته والدفاع عنه ويقوم بهذا ليل نهار فهل يقال حينها بأن هذا آثم وليس بكافر ؟!!!

فجند الطاغوت هم حماة الطاغوت والمدافعون عنه فكما أن هناك من يدافع عن الأصنام والأوثان إذا أراد أحد أن يعتدي عليها أو يريد أن يمنع الحكم بها قال تعالى {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨)} [الأنبياء] .

فقوم إبراهيم عليه السلام استنكروا تحطيم أصنامهم ولما جاؤوا بإبراهيم عليه السلام تواصوا على تحريق إبراهيم نصرة لأصنامهم وهذه حقيقة وظيفة جند الطاغوت هي حماية الطاغوت والدفاع عنه والعمل به وفرضه على النـــاس .

فمن توقف في البراءة من جند الطاغوت إلا أما أنه لا يرى أنه طاغوت يجب الكفر به وبمن دافع عنه أو أنه يعلم بطلانه ولكنه لا يعلم حقيقة البراءة من الطاغوت وأنها من أصل دين الإسلام فالبراءة من الطاغوت تقتضي البراءة من أنصاره وأوليائه قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله: فأن تعتقد، أن الله هو الإلَه المعبود وحده، دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص، وتواليهم، وتبغض أهل الشرك، وتعاديهم ؛ وهذه: ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها ؛ وهذه: هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله:{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده}[الممتحنة:٤].).

فإن قال هؤلاء الجند نحن فقط قلنا لهم نحميكم وندافع عنكم ونعمل على تطبيق الدستور ...

قيل هذا مجرده كفر بنص كتاب الله تعالى لا يخالف في هذا عالم قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ

(٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)}[محمد]

وهذا نص صريح في كفر من وعد الكفار على طاعتهم ونصرهم حتى لو لم يفعل ما وعدهم بهم فكيف لو فعل ما وعدهم به فهذا كفره من باب أولى وهؤلاء الجند عندما دخلوا في جيش الطاغوت واعدوه على نصرته وحمايته والدفاع عنه مع علمهم بأنه يحكم بالطاغوت ويفرضه على الناس ويلزمهم به ويعاقب من لم يلتزم بحكم الطاغوت فموافقتهم على أن يصبحوا من حزبه وأهله رضا بما هو عليه من الكفر .

قال تعالى{أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[الحشر:١١]

مع أنهم كاذبون في قولهم هذا ولكن لم يمنع كذبهم الحكم بكفرهم لأن من أظهر نصرة الكفار والوقوف معهم من غير إكراه حتى لو كان لمصلحة من مصالح الدنيا فهو كافر وهذا بنص هذه الآية وبإجماع أهل العلم وحقيقة قولهم هي حقيقة قول جند الطاغوت فجند الطاغوت يقسمون على احترام الدستور وعلى حمايته وأنهم يدافعون عنه ويقاتلون من أراد منع الحكم به ويظهرون الطاعة التامة للدستور ويقدمونه على كل شرع مجرد إظهار هذه الأمور للكفار كفر أكبر مخرج من الملة حتى لو كان يعتقد بطلان كل هذا في قلبه لا ينفعه اعتقاد بطلان هذه الأمور في قلبه لأنه أظهر الكفر بلسانه من غير إكراه فكان كافرا كما أن من أظهر للمشركين موافقتهم على دين ظاهرا وكان يكره عبادة الأصنام والأوثان في قلبه لا ينفعه هذا الاعتقاد .

من المعلوم ضرورة بالحس والمشاهدة أن الطاغوت عندما أسس هذا الجيش والشرطة والحرس الوطني وغيرها من جنده وطلب من الناس التقدم للدخول أراد أن يكون هؤلاء الجند تبع لحكمه لا لحكم غيره وهذا معلوم كذلك عند من يتقدم ولكن جهلهم يكون إما لعدم معرفة حكم الطاغوت أو لعدم العلم بأنه طاغوت فأما الأول فلا عذر فيه فإن اعتقاد بطلان الطاغوت وبغضه أصل دين الإسلام فمتى ما دخل في جيش الطاغوت علم أنه إما أنه لا يعتقد بطلانه أو أنه يعلم بطلانه ولكن لا يبغضه لمصلحة من مصالح الدنيا وكلاهما كفر مخرج من الملة بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[البقرة:٢٥٦] وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عَنْ أَبِى مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ «مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

فلا يحرم دم المرء حتى يكفر بحكم الطاغوت ومن انتسب إليه وأصبح من أهله فهذا لم يكفر بالطاغوت ولا بحكمه بل آمن به فلا يصح له إسلام قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله (وأجمع العلماء سلفا وخلفا، من الصحابة والتابعين، والأئمة، وجميع أهل السنة أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك الأكبر، والبراءة منه وممن فعله، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة، والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله).

أو أنه لا يعلم أنه طاغوت لجهله بحاله لا بحكمه كمن كان بعيدا عن هذه الدار ولم يبلغه ما تحكم به هذه الدار وهذا لا يكون من أهل الدار فلو فرض وجود مثل هذا الصنف لعذر لا لجهله بالحكم ولكن لجهله بالحال فمثل هذا لا يكفر فإن علم حال حكم هذه الدار ثم لم يكفر بحكم الطاغوت عندها فليس بمسلم أما في مثل الحال اليوم فلا يقال

بأن من يريد أن يدخل في جند الطاغوت يجهل حال الطاغوت فإن من أقام في هذه الدور لا يجهل أنها تحكم بالقوانين ولكن قد يجهل حكم هذه القوانين فمن انتسب لجند الطاغوت ودخل لحمايتها والدفاع عنها فلا عذر له بجهل أو تأويل فإنه لا يتم إيمان أحد إلا بالكفر بالطاغوت وكما ذكرنا بأن الكفر بالطاغوت هو اعتقاد بطلانه وبغضه ومن انتسب إليه لم يحقق هذا الأصل فلا يكون مسلما بإجماع المسلمين بل من علم عند أحد أن دخل في جيش الطاغوت وجنده من غير إكراه وأصبح من حزب الطاغوت ثم لم يتبرأ منه لم يحقق الإسلام فحقيقة الإسلام هي البراءة من الشرك والمشركين{وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[البقرة:١٣٥] {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[آل عمران:٦٧] {قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[آل عمران:٩٥] {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[الأنعام:١٦١] {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[النحل:١٢٣]

فمن نسب إليه أولياء الطاغوت وجعل دينهم دينه لم يعرف حقيقة ملة إبراهيم فملة إبراهيم عليه السلام لا تتحقق إلا بالبراءة الشرك والمشركين .

قال الشنقيطي رحمه الله (والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله. مسألة اعلم أن كل مسلم، يجب عليه في هذا الزمان، تأمل هذه الآيات، من سورة محمد وتدبرها، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد. لأن كثيراً ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد. لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو هذا القرآن وما يبينه به النبي

صلى الله عليه وسلم من السنن.

فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله: سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية. وأحرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في الأمر كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم. وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم. فاحذر كل الحذر من الدخول في الذين قالوا: سنطيعكم في بعض الأمر.)

قال تعالى{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}[النساء:١٤٠]

فإذا كان من جلس مع الكفار وهم يكفرون بالله تعالى وهو ساكت لم ينكر عليهم كفرهم ولم يقم من مجلسهم كفر فكيف بمن وافقهم بلسانه فهذا يدخل في هذه الآية دخولا أوليا فهؤلاء العساكر لم يرغمهم أحد على الدخول في جند الطاغوت والانتساب إليهم فهم أتوا بأرجلهم وقدموا أوراق انتسابهم لجيش الطاغوت وطلبوا منهم الموافقة على دخولهم بل لعلهم يأتون بمن يشفع لهم عند الطاغوت للدخول في جيش الطاغوت وكل هذا من أجل الدنيا و الحصول على راتب شهري مقابل قبوله بوظيفة حماية الطاغوت والدفاع عنه وتنفيذ أحكامه وقتال من يريد تقويض حكم الطاغوت فهل مثل هذا يقال عنه بأنه آثم وليس كافر لأنه دخل للدنيا فالكفر الأكبر لا يعذر فيه المسلم إلا بالإكراه بل نص الله تعالى في كتابه بأن من فعل الكفر الأكبر بغير إكراه ولكن استحبابا بالحياة فالدنيا فإن من الكفار الخالدين في النار قال تعالى {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ١٠٧}[النحل] .

و قال تعالى قوله تعالى:{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون}[هود:١٥-١٦].

فإرادهم للحياة الدنيا كان سبب في حبوط علمهم ودخولهم النار ومن المعلوم أن حبوط العمل لا يكون إلا لكافر كفرا أكبر مخرج من الملة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (و لا تحبط الأعمال بغير الكفر لأن من مات على الإيمان فإنه لابد من أن يدخل الجنة ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها ولا ينافي الأعمال مطلقاً إلا الكفر وهذا معروف من أصول أهل السنة).

وقال رحمه الله (وأما الردة عن الإسلام بأن يصير الرجل كافرًا مشركًا، أو كتابيًا ،فإنه إذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق العلماء، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، كقوله: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} [البقرة:٢١٧]، وقوله:{وَمَن يَكْفُرْ بالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} [المائدة:٥]، وقوله:{وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الأنعام:٨٨]، وقوله: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر:٦٥]. ولكن تنازعوا فيما إذا ارتد، ثم عاد إلى الإسلام هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة أم لا تحبط إلا إذا مات مرتدًا ؟

على قولين مشهورين، هما قولان في مذهب الإمام أحمد، والحبوط: مذهب أبي حنيفة ومالك. والوقوف: مذهب الشافعي .).

والصحيح في هذه المسألة أن من كان كافرا وعمل عملا خالصا لله تعالى في حال كفره ثم تاب من كفره فإن ما عمله في حال كفره من الأعمال الصالحة يثاب عليه فكيف بما عمله في حال إسلامه عن عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ أَوْ أَتَحَنَّتُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صِلَةٍ وَعَتَاقَةٍ وَصَدَقَةٍ هَلْ لِي فِيهَا أَجْرٌ قَالَ حَكِيمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ).

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ
قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ).

قال تعالى{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[التوبة٢٤

وقال{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً}[النساء:٩٧]

وهذه الآية فيمن أقام في دار الكفر وهو قادر على الهجرة فلم يهاجر ثم أخرجه الكفار معهم مكرها فلا عذر له بالإكراه فهو ظاهرا كافر مثلهم وأما سريرته فإلى الله فكيف بمن ذهب برجليه لهم حتى يكون من حزبهم وأنصارهم فمثل هذا يكفر باطنا وظاهرا وفي الحديث الصحيح الذي أخرج البخاري وغيره عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ الأَسَدِىُّ قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ كُتِبْتُ فِيهِ فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ

عَبَّاسٍ فَنَهَانِى أَشَدَّ النَّهْىِ ثُمَّ قَالَ أَخْبَرَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَيَأْتِى السَّهْمُ يُرْمِى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِمْ {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} .

فحكم الله تعالى على ظاهر هؤلاء أنهم من المشركين والعلة أنهم كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين وكانوا عندما أخرجوا مكرهين فلم يكن لهم عذر لأنهم أقاموا مع الكفار مع قدرتهم على الخروج من دار الكفر فكان هذا عقوبة لهم لعدم خروجهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله (ومن أخرجوه معهم مكرهًا فإنه يبعث على نيته. ونحن علينا أن نقاتل العسكر جميعه إذ لا يتميز المكره من غيره. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(يغزو هذا البيت جيش من الناس، فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم). فقيل: يا رســـول الله، إن فيهم المكره. فقال: (يبعثون على نياتهم). والحديث مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة، أخرجه أرباب الصحيح عن عائشة، وحفصة، وأم سلمة. ففي صحيح مسلم عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم). فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: (يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)، وفى الصحيحين عن عائشة قالت: عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه. فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله. فقال: (العجب! إن ناسًا من أمتي يؤمون هذا البيت برجل من

قريش وقد لجأ إلى البيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسفت بهم). فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس. قال: (نعم، فيهم المستنصر، والمجنون، وابن السبيل، فيهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله ـــ عز وجل ـــ على نياتهم)، وفي لفظ للبخاري عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم). قالت: قلت: يارسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟! قال: (يخسف بأولهم وآخرهم،ثم يبعثون على نياتهم)، وفي صحيح مسلم عن حفصة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيعوذ بهذا البيت ـــ يعني الكعبة ـــ قوم ليست لهم منعة، ولا عدد، ولا عدة، يبعث إليهم جيش يومئذ حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم). قال يوسف بن ماهك: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة. فقال عبد الله بن صفوان: أما والله ما هو بهذا الجيش. فالله ـــ تعالى ـــ أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته ـــ المكره فيهم وغير المكره ـــ مع قدرته على التمييز بينهم، مع أنه يبعثهم على نياتهم، فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره، وهم لا يعلمون ذلك؟! بل لو ادعى مدع أنه خرج مكرهًا لم ينفعه ذلك بمجرد دعواه، كما روى أن العباس بن عبد المطلب قال للنبي صلى الله عليه وسلم ـــ لما أسره المسلمون يوم بدر: يا رسول الله، إني كنت مكرهًا. فقال: (أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله). بل لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضًا،).

فإذا كان هذا حكم من كان مكرها فكيف بمن كان غير مكره كما هو حال هؤلاء الجند اليوم الذين باعوا دينهم للطاغوت من أجل دراهم معدودة فهؤلاء الجند اليوم حكمهم حكم عين الجيش الذي أراد غزو الكعبة لا حكم المكره فهم ظاهرا وباطنا حكمهم حكم الكفار ولو فرض وجود مكره فهو ظاهرا منهم وباطنا أمره إلى الله

فالجيش الذي يغزو البيت لا خلاف في كفره لأنه يحارب دين الله ويغزو بيت الله من غير إكراه .

قال بعض علماء الدعوة النجدية (وأما إن لم يكن له عذر، وجلس بين أظهرهم، وأظهر لهم أنه منهم، وأن دينهم حق، ودين الإسلام باطل، فهذا كافر مرتد، ولو عرف الدين بقلبه، لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة، ويتكلم بكلام الكفر من غير إكراه، فدخل في قوله تعالى: {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.).

فهؤلاء الجند دخلوا جيش الطاغوت وتدربوا عنده وأعدهم الطاغوت لنصرته وحمايته وهم يعرفون هذا فكيف يقال بأن مثل هؤلاء يأثمون لأنهم أرادوا الدنيا لا يقول هذا إما أنه لا يعرف حالهم أو التبس عليه حكمهم فلم يفرق بين من نصر الطاغوت وحماه وبين من عمل عند الطاغوت فيما لا يخالف الشرع أو دون الكفر الأكبر ومثل حماية الطاغوت ونصرته لا يخفى على مسلم أنه كفر أكبر مخرج من الملة .
قال تعالى {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}[القصص:٦].
وقال {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}[القصص:٨] .

فحكم الله تعالى على فرعون ووزيره هامان وجنده بحكم واحد لأنه لا يتم لفرعون أمر ولا تقوم له قائمة إلا بوجود هؤلاء الجند وهذا الأمر من المفروض أن لا يخالف به

عاقل ولكن عند كثرة الفتن والبعد عن دين الله تعالى حتى الأمور البديهية قد اشتبهت على الناس فلو امتنع الناس عن الدخول في جيش الطاغوت لما قامت للطاغوت قائمة فكيف ينفذ الطاغوت حكمه وكيف يلزم الناس به وكيف يقاتل من خرج عليه ؟ .

و قال تعالى قال تعالى {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)}[الفجر].

حكم الله تعالى على فرعون وجنده بحكم واحد وجعل الله تعالى سبب عذابهم هو طغيانهم وإكثارهم للفساد وهذا هو حكم جند الطاغوت اليوم فهم يحكمون بالطاغوت ويلزمون الناس به ويعاقبون من خرج عنه ويحمون مواطن الكفر والفواحش ويدافعون عنها فما انتشر الكفر وفشت الفواحش وظهر الظلم إلا بحماية هؤلاء الجند للطاغوت والدفاع عنه ولو انخزل هذا الجيش عن الطاغوت لما رأيت له بقاء .

قالَ الإمامُ ابن جَريرٍ الطَّبَريُّ في تَفسيرهِ (واختَلَفَ أهلُ التَّأويلِ في مَعْنَى قولِهِ ذِي الأوْتَادِ، وَلِمَ قِيْلَ لهُ ذلكَ، فقالَ بَعْضُهُم مَعْنَى ذلكَ ذِي الجُنُودِ الذينَ يُقَوُّوْنَ لهُ أمَرَهُ وقالوا الأوْتَادَ في هذا المَوْضِعِ الجُنُودِ... ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ قالَ ذلكَ عَنْ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: وفِرعونَ ذِي الأوْتَادِ، قالَ الأوْتَادَ الجُنُودَ الذينَ يَشُدُّونَ لهُ أمْرَهُ...) أهـ.

والقرُطبيّ في تفسيره قالَ: (أي الجُنُودِ والعَسَاكِرِ والجُمُوعِ والجُيُوشِ التي تَشُدُّ مُلكَهُ، قالَهُ ابن عبَّاس) أهـ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله (لأن الطائفة لما كانت ممتنعة يمنع بعضها بعضا،صارت

كالشخص الواحد.

ولهذا لما قتل خالد من قتل من بنى جذيمة وَدَاهُم النبي صلى الله عليه وسلم من عنده؛ لأن خالداً نائبه وهو لا يمكنهم من مطالبته وحبسه لأنه متأول، وكذلك عَمرو بن أمية وقاتله خالد بن الوليد؛ لأنه قتل هذا على سبيل الجهاد لا لعداوة تخصه، وقد تنازع الفقهاء في خطأ ولى الأمر؛ هل هو في بيت المال أو على ذمته؟ على قولين.

ولهذا كان ما غنمته السَّرِيَّة يشاركها فيه الجيش، وما غنمه الجيش شاركته فيه السرية؛ لأنه إنما يغنم بعضهم بظهر بعض، فإذا اشتركوا في المغرم اشتركوا في المغنم، وكذلك في العقوبة يقتل الرِّدْء والمباشر من المحاربين عند جماهير الفقهاء،كما قتل عمر ــ رضي اللّه عنه ــ ربيئة المحاربين، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد، وهو مذهب مالك في القتل قوداً، وفى السراق ــ أيضاً.).

وقال رحمه الله (والطائفة إذا انتصر بعضها ببعض حتى صاروا ممتنعين، فهم مشتركون في الثواب والعقاب، كالمجاهدين. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ويرد متسريهم على قعدهم). يعني أن جيش المسلمين إذا تسرت منه سرية فغنمت مالا، فإن الجيش يشاركها فيما غنمت ؛ لأنها بظهره وقوته تمكنت، لكن تنفل عنه نفلا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفل السرية إذا كانوا في بدايتهم الربع بعد الخمس، فإذا رجعوا إلى أوطانهم وتسرت سرية نفلهم الثلث بعد الخمس، وكذلك لو غنم الجيش غنيمة شاركته السرية؛ لأنها في مصلحة الجيش، كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم لطلحة والزبير يوم بدر؛ لأنه كان قد بعثهما في مصلحة الجيش، فأعوان الطائفة الممتنعة، وأنصارها منها، فيما لهم وعليهم.)

فإذا كانت الطائفة مجتمعة على الحكم بالطاغوت تمنع بعضها بعضا وتنصر بعضها بعضا فهذه ولا شك لا يخالف عاقل بأن حكمها واحد يجب قتالها جميعا دون تفريق بين فرد وآخر قال شيخ الإسلام رحمه الله (و أيما طائفة انتسبت إلى الإسلام، وامتنعت من بعض شرائعه الظاهرة المتواترة، فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين، حتى يكون الدين كله للّه، كما قاتل أبو بكر الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ وسائر الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ مانعي الزكاة، وكان قد توقف في قتالهم بعض الصحابة، ثم اتفقوا، حتى قال عمر بن الخطاب لأبي بكر ـ رضي اللّه عنهما: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، فإذا قالوها، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه)؟ فقال له أبو بكر: فإن الزكاة من حقها. واللّه لو منعوني عَنَاقا كانوا يؤدونها إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت اللّه قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق..... فثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة،أنه يقاتل من خرج عن شريعة الإسلام،وإن تكلم بالشهادتين.).

هذا فيمن خرج عن شريعة واحدة من شرائع الإسلام فكيف بمن نبذ حكم الله تعالى كله وراء ظهره وحكم بالطاغوت وامتنع عن أكثر الشرائع لأن الدستور لا يقرها ولا يرضى بها فهو أولى بالقتال ممن ذكرهم شيخ الإسلام ومن المعلوم حسا ومشاهدة أن جيش الطاغوت هو من يمنع الطاغوت من المسلمين وهو الذي يحميه ويدافع عنه ويعاقب مخالفه فهو يدخل في هذا الإجماع دخولا أوليا ومثل هذا لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على قتال من امتنع من الزكاة وكان يشهد الشهادتين ولم يتوقفوا في قتاله بحجة أنه يتكلم بالإسلام .

قال شيخ الإسلام (ومذهب مالك في المحاربين وغيرهم إجراء الحكم على الردء والمباشر كما اتفق الناس على مثل ذلك في الجهاد.).

قال ابن القيم رحمه الله (وقد أجمع المسلمون على أن حكم الردء حكم المباشر في الجهاد ولا يشترط في قسمة الغنيمة ولا في الثواب مباشرة كل واحد واحد القتال وهذا حكم قطاع الطريق حكم ردئهم حكم مباشرهم لأن المباشر إنما باشر الإفساد بقوة الباقين ولولاهم ما وصل إلى ما وصل إليه وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه وهو مذهب أحمد ومالك وأبي حنيفة وغيرهم.).

فهؤلاء الحكام المرتدين وجب قتالهم بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقتالهم قتال كفار لا قتال بغاة ولا يمكن قتالهم إلا بقتل جندهم فالجند حقيقة هم المباشر لنا لا الحكام فدل هذا الإجماع على أن هؤلاء الجند يدخلون في هذا الإجماع دخولا أوليا فإذا كان الردء يقتل في الجهاد وإن لم يصدر منه مقاتلة حتى لو كانت أمرأة أو شيخ كبير أو طفل فمن قاتل بيده يقتل من باب أولى بل يقطع بأن مثل هؤلاء الجند يجب قتالهم حتى يتم تقويض حكم الطاغوت بل لا يتم تقويض حكم الطاغوت إلا بقتالهم وهذا لا يخالف فيه عاقل سواء كان كافر أو مسلم فكيف يقال إذا بأن هؤلاء الأصل فيهم الإثم لا الكفر وحالهم الذي ذكرنا ؟!!!

قال شيخ الإسلام رحمه الله (وكذلك [مسألة التترس] التي ذكرها الفقهاء، فإن الجهاد هو دفع فتنة الكفر فيحصل فيها من المضرة ما هو دونها، ولهذا اتفق الفقهاء على أنه متى لم يمكن دفع الضرر عن المسلمين إلا بما يفضي [إلى] قتل أولئك المتترس بهم جاز ذلك، وإن لم يخف الضرر لكن لم يمكن الجهاد إلا بما يفضي إلى قتلهم ففيه قولان. ومن

يسوغ ذلك يقول: قتلهم لأجل مصلحة الجلاد مثل قتل المسلمين المقاتلين يكونون شهداء ...).

فإذا كان المتترس به ليس له ذنب في قتله إلا أن الكفار قد تترسوا به لحماية أنفسهم وجاز قتله بإجماع المسلمين فكيف بمن وقف في صف الكفار بإرادته ونصرهم ودفع عنهم فهذا من جنس الكافر الذي يتترس بالمسلمين لا من جنس المسلمين المتترس بهم فهذا لا يخالف مسلم بأنه كافر ويجب قتاله كما يجب قتال الكفار وإن تترسوا بالمسلمين كيف وقتال هؤلاء الجند من جنس جهاد الدفع فيجب رفع الضرر عن الإسلام والمسلمين ولا يتم هذا إلا بقتال هؤلاء الجند ومن قال بأنه لا يجوز لنا قتال هؤلاء الجند لأن فيهم مسلمون إلا من هو أضل الناس وأجهلهم .

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[المائدة:٥١]
وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[التوبة:٢٣]
وقال {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[الممتحنة:٩]
وهذه آيات صريحة مقطوع بمعناها ومبناها بأن من تولى الكفار وأعانهم على كفرهم فهو كافر مثلهم وإن لم يدخل دينهم بل وإن كان يبغض دينهم وقد أجمع العلماء على أن من أعان الكفار برأي أو بمال أو بيد فهو كافر مثلهم وجند الطاغوت ممن نذر نفسه للدفاع عن الطاغوت وحمايته بل ودافعوا عن الطاغوت ضد كل من أراد قتال هذا الطاغوت وعلى أقل الأحوال هذا ما يظهر منه وهذا يكفي في الحكم عليه بالردة بعينه

إن لم يكن مكرها والأحكام بإجماع أهل العلم بالظاهر والله يتولى السرائر .

قال تعالى {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ}[المائدة:٥٣] .

فحكم الله تعالى بردة من دخل في حماية الكفار وأنه ممن حبط عمله وأنه من الخاسرين بمجرد الدخول بحمايتهم من غير أن يصبح منهم ومن جيشهم وجندهم قال ابن كثير رحمه الله (وقوله تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض} أي شك وريب ونفاق, يسارعون فيهم, أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر, {يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة} أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين, فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى, فينفعهم ذلك. عند ذلك قال الله تعالى: {فعسى الله أن يأتي بالفتح} قال السدي: يعني فتح مكة. وقال غيره: يعني القضاء والفصل, {أو أمر من عنده}. قال السدي: يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى, {فيصبحوا} يعني الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين {على ما أسروا في أنفسهم} من الموالاة, {نادمين} أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئاً, ولا دفع عنهم محذوراً, بل كان عين المفسدة, فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين بعد أن كانوا مستورين, لا يدرى كيف حالهم, فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين, فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين, ويحلفون على ذلك ويتأولون فبان كذبهم وافتراؤهم, ولهذا قال تعالى: {ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين }.).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ولا بد أيضا في توبته، من البراءة ممن ارتد عن الإسلام، بانحيازه إلى المشركين، ودعوته إلى الدخول تحت ولايتهم، وإظهار عداوة المسلمين؛ بل لا بد من تكفيره، ومجاهدته باليد والمال واللسان؛ فإذا حصل منه ما ذكر، قبلت توبته، ووكلت سريرته إلى الله)

قال بعض علماء الدعوة النجدية (الخفير لسلامة المال، جائز إذا ألجأ الحال إليه، والخفير مسلم ظالم، أو فاجر فاسق؛ وأما الدخول تحت حماية الكفار، فهي ردة عن الإسلام؛ وأخذ العلم منهم لا يجوز، إذا كانوا لم يدخلوا تحت حمايتهم، وولايتهم، وليس بمنْزلة أخذ الخفير لحماية المال، فإن هذا علم وعلامة على أنهم منقادون لأمرهم، داخلون في حمايتهم، وذلك موافقة لهم في الظاهر.).

فإذا كان من دخل تحت حماية المشركين كافر فكيف بمن يحمي المشركين ويدافع عنه ويحميهم أليس هذا الكفر أولى به فكيف وهو الذي يحمي من دخل تحت المشركين وهو يحمي المشركين فمن خالف في كفر مثل هؤلاء فليراجع دينه وما دخل عليه من زيغ وضلال ويلجأ إلى الله تعالى وليجأر إليه سائله الهداية والتوفيق فإننا في زمن فتنة عم فيه الكفر والضلال ولا ينفع اليوم من الدعاء إلا دعاء كدعاء الغريق وحسبنا الله ونعم والوكيل .

قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}[النساء:٧٦]
قال الطبري رحمه الله (يعني تعالى ذكره: الذين صدّقوا الله ورسوله وأيقنوا بموعود

الله لأهل الإيمان به, {يقاتلونَ فِي سبيلِ اللّهِ} يقول: في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده. {وَالّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبيلِ الطّاغُوت} يقول: والذين جحدوا وحدانية الله وكذّبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم, {يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ الّطاغُوت} يعني: في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله. يقول الله مقوّيا عزم المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومحرّضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به. {فَقاتِلُوا} أيها المؤمنون {أوْلِيَاءَ الشّيْطَانِ} يعني بذلك: الذين يتولونه ويطيعون أمره في خلاف طاعة الله والتكذيب به, وينصرونه. {وإنّ كيدَ الشّيْطَانِ كانَ ضعِيفا} يعني بكيده: ما كاد به المؤمنين من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به. يقول: فلا تهابوا أولياء الشيطان, فإنما هم حزبه وأنصاره, وحزب الشيطان أهل وهن وضعف. وإنما وصفهم جلّ ثناؤه بالضعف , لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب, ولا يتركون القتال خوف عقاب, وإنما يقاتلون حمية أو حسدا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله, والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله, ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه, فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل, وبما له من الغنيمة والظفر إن سلم. والكافر يقاتل على حذر من القتل, وإياس من معاد, فهو ذو ضعف وخوف.).

قال شيخ الإسلام رحمه الله (من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان).

وهؤلاء الجند أقسموا بالقرآن على احترام الطاغوت والدفاع عنه ضد من يريد

قتاله ونقضه وهذا أعظم من كفر التتر وجندهم وأظهر فهم جمعوا بين الكفر القولي بمحالفة الطواغيت والقسم على حمايتهم واحترامهم وبين العمل بما حالفوا به الطاغوت من القيام فعلا بحماية الطاغوت والدفاع عنه ونصرته وهو ما نراه بأم أعيننا من قيام دين الطاغوت وظهوره وعدم ظهور دين الإسلام بسبب جند الطاغوت وأنصاره.

قال ابن كثير رحمه الله (ثم قال تعالى: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت} أي المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه, والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان, ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله: {فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً}).

لا يخالف عالم بأن حكم الطاغوت هو عينه حكم الشيطان وشرعه ومنهاجه ودينه الذي يحكم به الحكام الكفار اليوم وأن من انتسب لحكم الطاغوت وواعدهم بنصرة حكم الطاغوت فهو داخل في هذه الآية لا محالة شاء من شاء وأبى من أبى فهو نذر نفسه للعمل على نصرة الطاغوت فقال ذلك بلسانه ووافق على ذلك بنانه بأن طلب الانتساب إلى حماة حكم الطاغوت ثم عمل بجوارحه بأن سعى لتحكيم الطاغوت وألزمه الناس به وعاقب من خالفه وإن كان من أكابر أولياء الله تعالى بل وقاتل من أجل حكم الطاغوت بل وضحى بعضهم بنفسه من أجل الطاغوت فهل يمكن القول بعد هذا بأن الأصل في جيش الطاغوت هو الإثم ونصوص الكتاب والسنة والإجماع كلها تنادي بل العقل الصريح بأن هؤلاء حتى لو لم يقاتلوا ولكن انتسبوا مجرد انتساب لجيش الطاغوت كفروا بذلك لمواعدهم للكفار بالطاعة على كفرهم حتى وإن أرادوا بهذا عرضا من الدنيا فإن من فعل الكفر الأكبر من أجل الدنيا لا يعذر بهذا بإجماع أهل العلم .

قال تعالى {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا

إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[المجادلة:١٩]

فهذه الدول الكافرة المنتسبة للإسلام تحكم بالقوانين وهي كما ذكرنا بإجماع العلماء حكم الشيطان الذي أمر الله تعالى بالكفر به فمن وقف مع الكفار الذين يحكمون بحكم الشيطان وطلب منهم الانتساب للجند الذي يحمون حكم الطاغوت ويلزمون الناس به ويدافعون عنه هل هذا من حزب الشيطان أم من حزب الرحمن ؟ .

لا يخالف أحد ممن عرف حقيقة الإسلام وعرف الواقع أن هؤلاء هم حزب الشيطان وجنده الذين حكم الله تعالى عليهم بكمال الخسران فكيف يقال إذا بأنهم يأثمون ولا يكفرون .

فهؤلاء الذي يحكمون بأن جند الطاغوت لا يكفرون وإنما يأثمون حقيقتهم أنهم لم يتصوروا وظيفة الجند في الشرع ولا في الواقع فهم قدروا وظيفة للجند فقط للحصول على راتب شهري من غير موافقة لا في القول ولا في الفعل وهذه من السذاجة التي يتزه عنها العامة قبل المشايخ والعلماء فإن وظيفة كل جند يتفق عليها العقلاء جميعا مسلمهم وكافرهم وهذه الوظيفة تبع للحكم الذي هو الأمر والنهي فإن كان الحكم حقا فهنا يكون العمل بهذا الحكم مما يحبه الله ويرضاه كما قال تعالى {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }[البقرة:٢٤٩]

فهؤلاء الجند عملوا بما أمرهم الله تعالى بهم فوصفهم الله تعالى بالإيمان وأنهم ممن يظن

بأنه ملاق الله تعالى لا محالة وأن عليه أن يصبر لقتال الكفار فإن الله تعالى مع الصابرين .

وفي المقابل هناك جند جالوت الذين يقاتلون من أجل الطاغوت ووظيفتهم قتال الموحدين والتخلص منهم وتقويض حكم الله تعالى ودينه وتطبيق دين الطاغوت وحكمه وهذه الوظيفة عينها وظيفة جند الطاغوت اليوم فهي إلزام الناس بحكم الطاغوت ومعاقبة من خالفه وخرج عـــليه لذا سمى الله تعالى جند جالوت الذين يريدون أن يفرضوا دين الطاغوت وحكمه بأنهم كافرون كما قال تعالى {وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[البقرة:٢٥٠]

ولو فرضنا أن مسلما من جيش طالوت خرج مع جيش جالوت بعد أن وعدوه بالمال وغيرها من المصالح هل يكون مسلما بخروجه مع الكفار وإعانتهم على فرض دينهم وحكمهم على الناس أم يكون بهذا فقط آثما ولا يصل إلى الكفر ؟.

لا يخالف من عرف حقيقة الإسلام أن من وقف مع الكفار ونصرهم على المسلمين أو دافع عن كفرهم وحكمهم وأعانهم على فرضه على الناس ومعاقبة من خرج منهم عنه لا يخالف مسلم بأنه من أكابر الكفار لا من ضعفائهم كالنساء والشيوخ والأطفال بل لا تحقق الإسلام إلا بتكفيرهم والبراءة منهم كما حكم الله تعالى عليهم بكتابه {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة:٢٥٧]

قال شيخ الإسلام رحمه الله (وقد أجمع المسلمون على وجوب قتال الخوارج والروافض ونحوهم إذا فارقوا جماعة المسلمين، كما قاتلهم علي ــ رضي الله عنه ــ

فكيف إذا ضموا إلى ذلك من أحكام المشركين ــ كنائسًا ــ وجنكسخان ملك المشركين: ما هو من أعظم المضادة لدين الإسلام، وكل من قفز إليهم من أمراء العسكر وغير الأمراء فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين ــ مع كونهم يصومون، ويصلون، ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين ــ فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلا للمسلمين؟! مع أنه والعياذ بالله لو استولى هؤلاء المحاربون لله ورسوله، المحادون لله ورسوله، المعادون لله ورسوله، على أرض الشام ومصر في مثل هذا الوقت، لأفضى ذلك إلى زوال دين الإسلام ودروس شرائعه.).

وقال بعض علماء الدعوة النجدية (وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في "الاختيارات": من جمز إلى معسكر التتر ولحق بهم، ارتد، وحل دمه وماله؛ فإذا كان هذا في مجرد اللحوق بالمشركين، فكيف بمن اعتقد مع ذلك أن جهادهم، وقتالهم لأهل الإسلام، دين يدان به، هذا أولى بالكفر والردة.).

والردة هنا لا يختلف من له فهم أنها في العين لا في العموم لأن حكم شيخ الإسلام هنا بحل دمه وماله ولا يكون هذا إلا في معين .

وقال تعالى {ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}[التوبة:٢٦] .

قال القرطبي رحمه الله (قوله تعالى: "ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين" أي أنزل عليهم ما يسكنهم ويذهب خوفهم، حتى اجترؤوا على قتال المشركين بعد أن ولوا. "وأنزل جنودا لم تروها" وهم الملائكة، يقوون المؤمنين بما يلقون في قلوبهم من الخواطر والتثبيت، ويضعفون الكافرين بالتجبين لهم من حيث لا يرونهم ومن غير قتال،

لأن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر. وروي أن رجلا من بني نصر قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق، والرجال الذين كانوا عليها بيض، ما كنا فيهم إلا كهيئة الشامة، وما كان قتلنا إلا بأيديهم أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: (تلك الملائكة). "وعذب الذين كفروا" أي بأسيافكم. "وذلك جزاء الكافرين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء" أي على من انهزم فيهديه إلى الإسلام. كمالك بن عوف النصري رئيس حنين ومن أسلم معه من قومه.).

فجند الرحمن سواء من الإنس أو الملائكة أو الجن ينصرون دين الله وحكمه كما أمرهم الله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[الأنفال:٣٩] .

وبالمقابل فإن جند الطاغوت وظيفتهم هي القتال حتى تكون فتنة والفتنة هنا هي الشرك والكفر بإجماع المفسرين ويكون هنا بفرض حكم الطاغوت ودينه فمن انتسب لجيش يحكم بالطاغوت ويفرضه على الناس ويعاقب من خالفه هل يكون هذا من جند الطاغوت أم جند الله تعالى ؟ .

ثم إن كان من جند الطاغوت فما حكم جند الطاغوت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ؟

وقال تعالى {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة:٤٠].

ذكر الله تعالى في هذه الآية قسمين لا ثالث لهم :

الأول: كلمة الله تعالى وهي حكمه وشرعه وأمره ونهيه قال ابن كثير رحمه الله (ولهذا قال: {وأيده بجنود لم تروها} أي الملائكة {وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا} قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وقوله: {والله عزيز} أي في انتقامه وانتصاره, منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه, واحتمى بالتمسك بخطابه {حكيم} في أقواله وأفعاله.).

ولهذه الكلمة جند يقومون بها وينصروها ويقيموها سواء كان هؤلاء الجند إنس أو ملائكة أو جن فهؤلاء هم جند الله تعالى .

والثانية: وهي كلمة الكفر والشرك وهي اليوم تتمثل بحكم الطاغوت الذي يحكم به الطواغيت الناس ويفرضونه عليهم ولهذه الكلمة الخبيثة جند ينصروها ويدافعون عنها ويعاقبون من خالفها فهل من انتسب لجند هذه الكلمة يكون من جند الرحمن أم من جند الشيطان وهل يكفر من انتسب إليها مجرد انتساب فقط أم يقال بأنه آثم ولا يخرج من الإسلام ؟

فالله حكم على أن كل من انتسب لجند هذه الكلمة فهو كافر وأنه سوف يكون من الخاسرين لا محالة وجعل كلمة الكفار هي السفلى بهزيمة جند الطاغوت واندحارهم كما قال تعالى {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}[القصص:٤٠] فهذه عاقبة كل من وقف مع الطاغوت وانتسب إليه حتى لو

يقاتل معه فكيف لو قاتل معه ونصره وأعانه على الموحدين كما هو حال غالب الجند الطاغوت اليوم .

وقال تعالى {جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ }[ص:١١] . وقال تعالى {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }[يونس:٩٠] .

فما رأينا يوما أن جند الطاغوت امتنعوا عن نصرة الطاغوت أو عن فرض حكمه على الناس أو عن الدخول في طاعته فهم جند للطاغوت محضرون يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه يعادون من يعادي ويوالون من يوالي ويقاتلون من يقاتل وينصرون من ينصر فهذه حقيقة وظيفتهم التي قبلوا به عند انتسابهم لجند الطاغوت وهي التي نراهم اليوم يفون بوعدهم للطاغوت به ولو فرض أن أحدهم يكره هذا ولا ينصر الطاغوت فهذا إن كان مكره حقيقة فأمره إلى الله تعالى فنحن مأمورون بالظاهر والله يتولى السرائر فالله تعالى يستطيع أن يميز بين من يستحق العقاب ومن لا يستحق العقاب في الجيش الذي يغزو الكعبة كما في الحديث الصحيح عَنْ صَفِيَّةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « لاَ يَنْتَهِي النَّاسُ عَنْ غَزْوِ هَذَا الْبَيْتِ حَتَّى يَغْزُوَ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَلَمْ يَنْجُ أَوْسَطُهُمْ ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ كَرِهَ مِنْهُمْ قَالَ « يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ولكن لما كان التمييز هنا متعلق بعلم الله لا بعلم الخلق حكم الله تعالى لهذا الجيش بحكم واحد لتعلق الأحكام بعلم المخلوقين ولو أنه علق هذا الحكم بعلمه لكان تكليفا بما لا يطاق والتكليف بما لا يطاق لا يوجد بالشرع بإجماع العلماء سنيهم وبدعيهم .

وبهذا تعلم جهل من قال بأن جيش الطاغوت يحكم عليهم بأنه طائفة ردة ولا يحكم على أعيانهم بالكفر فهذا مع أنه قول مبتدع لم يقل به أحد من أهل العلم فهو كذلك قول لا يقبله عقل ولا شرع .

فالأسماء الشرعية كما هو معلوم متعلقها الأوصاف فمتى ما ثبت وصف لمعين حكم عليه بموجب هذا الوصف فمن فعل الشرك الأكبر حكم عليه بأنه مشرك ومن زنى حكم عليه بأنه زاني ومن أكل الربا حكم عليه بأنه مراب ومن كان من جند الطاغوت حكم عليه بأنه من جند الطاغوت بعينه فمن انتسب إلى حكم الطاغوت هل يقال هذا لا يجوز الحكم عليه بأنه من جند الطاغوت بعينه وإنهم طائفة جند طاغوت ولا يعين أحدهم أنه من جند الطاغوت هذا لا يخالف فيه حتى الكفار ولكن لما دخلت البدع على هذه الأمة أصبح كثير منهم لا يميز بين المعقول وغير المعقول ويتكلم بكلام دون أن يعرف حقيقة هذا الكلام .

ثم إن من المعلوم بالشرع كما ذكرنا من أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة أن من كان من جند الطاغوت يقتل بعينه بل حتى لو كان مكرها قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً} [النساء] .

عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ الأَسَدِىُّ قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ كُتِبْتُ فِيهِ فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَنَهَانِى أَشَدَّ النَّهْىِ ثُمَّ قَالَ أَخْبَرَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَيَأْتِى السَّهْمُ يُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ

يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِمْ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ .

فهؤلاء الذين يكثرون سواء المشركين كانوا مسلمين ولكنهم أقاموا في دار الكفر مع قدرتهم على الهجرة وأخرجوهم المشركون كرها فلما قتلوا بأعيانهم تأسف المسلمين لأنهم قد قتلوا إخوانهم المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وأن ظاهرهم مع المشركين فحكمهم حكم المشركين فهذا حكم عام في كل معين خرج مع المشركين أن يقتل بعينه فإن الله تعالى لم يكلفنا أن نشق عن قلوب الناس فمن كان ظاهره مع المشركين فهو ظاهرا حكمه حكم المشركين ومن كان مع المسلمين فظاهره الإسلام ما لم يظهر غير ذلك وعن ابن عباس (قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام, فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم, فأصيب بعضهم بفعل بعض. قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم, فنزلت {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} الآية. قال عكرمة: فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم. قال: فخرجوا, فلحقهم المشركون, فأعطوهم التقية, فنزلت هذه الآية {ومن الناس من يقول آمنا بالله} الآية.)فانظر كيف نهاهم الله تعالى عن الاستغفار لهم ولم يعذرهم بالإكراه لأنهم كان هم السبب بهذا الإكراه ولو أنهم خرجوا من دار الكفر إلى الإسلام لما أكرهوا على الخروج مع المشركين .

قال شيخ الإسلام رحمه الله (وقد يقاتلون وفيهم مؤمن يكتم إيمانه، يشهد القتال معهم ولا يمكنه الهجرة، وهو مكره على القتال، ويبعث يوم القيامة على نيته، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يغزو جيش هذا البيت، فبينما هم

ببيداء من الأرض إذ خُسِفَ بهم)، فقيل: يا رسول الله، وفيهم الْمُكْرَه، قال: (يبعثون على نياهم). وهذا في ظاهر الأمر، وإن قتل وحكم عليه بما يحكم على الكفار فالله يبعثه على نيته، كما أن المنافقين منا يحكم لهم في الظاهر بحكم الإسلام ويبعثون على نياهم. والجزاء يوم القيامة على ما في القلوب لا على مجرد الظواهر؛ ولهذا روي أن العباس قال: يا رسول الله، كنت مكرهًا. قال: [أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله].).

وقال رحمه الله (فالله ــ تعالى ــ أهلك الجيش الذى أراد أن ينتهك حرماته ــ المكره فيهم وغير المكره ــ مع قدرته على التمييز بينهم، مع أنه يبعثهم على نياهم، فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره، وهم لا يعلمون ذلك؟! بل لو ادعى مدع أنه خرج مكرهًا لم ينفعه ذلك بمجرد دعواه، كما روى أن العباس بن عبد المطلب قال للنبى صلى الله عليه وسلم ــ لما أسره المسلمون يوم بدر: يا رسول الله، إنى كنت مكرهًا. فقال: (أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله). بل لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضًا، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا، فإنه يجوز أن نرميهم ونقصد الكفار. ولو لم نخف على المسلمين جاز رمى أولئك المسلمين ــ أيضًا ــ في أحد قولي العلماء.ومن قتل لأجل الجهاد الذي أمر الله به ورسوله ــ هو في الباطن مظلوم ــ كان شهيدًا، وبعث على نيته، ولم يكن قتله أعظم فسادًا من قتل من يقتل من المؤمنين المجاهدين.).

فمن حكمنا عليه بانتفاء عصمة الإسلام ظاهرا وحل دمه وماله فهذا هو حكم الإسلام بالكفار وأما سرائرهم فإلى الله تعالى ففي الحديث الصحيح ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ



اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .

فهؤلاء الجند ظاهرا لا يدخلون في الحديث لأنه قد حل دمهم ومالهم فلم يحكم لهم بحكم الإسلام وهذا الحكم بأعيانهم فكيف يقال إذا بأنهم لا يحكم على أعيانهم بالكفر فلم إذا يحكم عليهم بحل الدم والمال وهذا الحكم لا يكون إلا للكفار وفي الحديث الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِى، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ ».

ومن المعلوم أن هؤلاء الجند لا يدخلون في حكم قاتل النفس ولا في حكم الزاني المحصن فلم يبق إلا حكم التارك لدينه المفارق للجماعة .

فلو أن طائفة مسلمة كان عندها من القدرة ما تواجه به جيش الطاغوت هل يجب عليها أن تقيم الحجة على كل فرد من أفراد جند الطاغوت أم يجب عليها البلاغ العام ؟

.

فالله تعالى قد أنكر على المشركين إرادتهم أن يؤتى كل واحد منهم صحف منشورة كما قال تعالى { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً } وأنه بمجرد إعراضهم عن الحجة وعدم الانقياد لها يحكم بكفرهم .

ومن المعلوم ضرورة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين أنهم لم

يكونوا يتتبعون الأفراد لإقامة الحجة وإنما كان البلاغ عاما فيراسل النبي صلى الله عليه وسلم ملوك القوم وأمرائهم فإن قبلوا بالدعوة فبها ونعمت وإن أصروا على شركهم أبيح دمهم ومالهم والإسلام لم يكلف المسلمين إقامة الحجة على كل معين بنفسه فإن هذا من تكليف ما لا يطاق وتكليف ما لا يطاق غير موجود في شرع الله بإجماع أهل العلم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله (وإذا أخبر بوقوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها لم يكن من شرط ذلك أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي منها إلى كل مكلف في العالم، إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة: فكيف يشترط فيما هو من توابعها؟ بل الشرط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم. ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه: كان التفريط منهم لا منه.).

فمتى ما تم البلاغ العام سواء كان عن طريق هذه الطائفة المسلمة أو غيرها وجب عندها قتال جند الطاغوت بأعيانه ويحل دم ومال كل عين من أعيان هذا الجيش دون التفريق بين المكره وغيره وهذا كله بإجماع المسلمين فإن الصحابة رضوان الله عليهم استحلوا دماء وأموال من منع الزكاة ومن المعلوم عند كل من علم أحكام الشرع أن حالهم أقل كفرا من حال الطواغيت وجندهم اليوم فإن الصحابة رضوان الله عليهم استحلوا دمائهم وأموالهم بأعيانهم دون التفريق بين المكره وغيره وحكموا بانتفاء عصمة الإسلام عنهم كما في الحديث الصحيح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ كَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأَبِى بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الزَّكَاةِ

وَالصَّلاَةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِى عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

فعمر كان يظن أن هؤلاء لا يجوز قتالهم واستباحة أموالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله فلما بين له أبو بكر رضي الله خطأه في هذه المسألة تراجع عن رأيه ووافق أبا بكر رضي الله عنه وأجمع الصحابة على حل دم ومال من منع الزكاة فكيف بدم ومال من حكم بالطاغوت وألزم الناس به وفرضه عليهم وعاقب من خالفه فهذا من باب أولى أن لا يختلف فيه الصحابة رضوان الله عليهم لذا لم يختلف الصحابة رضوان الله عليهم في كفر من آمن بمسيلمة الكذاب وحال دمه وماله فهؤلاء الجند اليوم من جنس من آمن بمسيلمة لا من جنس من امتنع من الزكاة فإن الحكم بالطاغوت هو نقض تام لأصل الدين وعبادة للطاغوت كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً }[النساء:٦٠] ومثل هؤلاء يدخلون دخولا أوليا بقوله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[الأنفال:٣٩] ومثل هؤلاء أولى بحل الدم والمال ممن منع الزكاة فقط لذا يحكم على كل عين من جند الطاغوت ظاهرا بأنه كافر وأنه حلال الدم والمال وإن كان فيهم من هو مكـــره باطنا فالمكره فيهم نادر وقواعد الشرع تقتضي أنه لا عبرة بالنادر وإنما الحكم للأعم الأغلب .

فتبين بهذه الأدلة بدعية القول بأن جند الطاغوت طائفة ردة ولا يحكم بردة كل

معين منهم بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وبأقوال أهل العلم المعتبرين .

فكيف ويجب الحكم بكفر كل من وقف مع الطاغوت ونصره سواء من الجند وغيرهم ويدخل في هذا الحكم الجند دخولا أوليا فهم من يباشر الدفاع عن الطاغوت وحمايته وفرضه على الناس ويكفرون بأعيانهم باطنا وظاهرا إلا من تبين لنا أن مكره ثم لا يعذرون بجهل ولا تأويل فإن من وقف مع الطاغوت ونصره فإنه لا يتم إيمان أحد حتى يكفر بالطاغوت وأصل الكفر بالطاغوت هو اعتقاد بطلانه وبغضه فمن صار من أهله ينصرهم ويدافع عنهم بل خواص جنده فمثل هذا لم يحقق الكفر بالطاغوت إما لأنه لا يعتقد بطلان عبادة الطاغوت وهذا غالب حال الناس ولا عذر لهم بهذا الجهل فإن المسلم إن جهل أصل الدين فلا عذر له بذلك فإن أصل دين الإسلام هو البراءة من الطواغيت ومن عبادتهم ومن أوليائهم أو أنه يعتقد بطلان عبادته ولكن وقف معه من أجل الدنيا فهذا حقيقة لم يبغضه ومن لم يبغض الطاغوت فهذا ليس بمسلم لأنه لم يحقق الكفر بالطاغوت قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله (اعلم، رحمك الله: أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين؛ هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها، بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله؟ فإن هذا لا يشك مسلم أنه كــــافر، من أشد الناس عداوة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. ولا يستثنى من ذلك إلا المكــــره).

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله (من لم يظهر العداوة، ولم يفارق؛ ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة. فالأول: يعذر به مع العجز والخوف،

لقوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨].

والثاني: لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي، لا ينفك عنه المؤمن؛ فمن عصى الله بترك إظهار العداوة، فهو عاص لله. فإذا كان أصل العداوة في قلبه، فله حكم أمثاله من العصاة، فإذا انضاف إلى ذلك ترك الهجرة، فله نصيب من قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} الآية [النساء: ٩٧]، لكنه لا يكفر، لأن الآية فيها الوعيد لا التكفير. وأما الثاني، الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة، فيصدق عليه قول السائل: لم يعاد المشركين؛ فهذا هو الأمر العظيم، والذنب الجسيم، وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين ؟).

وقال بعض علماء الدعوة النجدية (وأما التولي: فهو إكرامهم، والثناء عليهم، والنصرة والمعاونة لهم على المسلمين، والمعاشرة، وعدم البراءة منهم ظاهرا؛ فهذا ردة من فاعله، يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين، كما يدل على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع الأمة المقتدى بهم.).

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله (وأما المسألة الثالثة: وهي ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم، فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين، له ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره، ويميل إليهم ويوادهم بباطنه، فهذا كافر خارج من الإسلام، سواء كان مكرها على ذلك أو لم يكن وهو ممن قال الله فيه: { ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم } .

الحال الثاني: أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن، مع مخالفته لهم في الظاهر، فهذا كافر أيضا، ولكن إذا عمل بالإسلام ظاهرا عصم ماله ودمه، وهو المنافق .

الحال الثالث: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين:
أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم، مع ضربهم أو تقييدهم له، أو يتهددونه بالقتل، فيقولون له: إما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا، وإلا قتلناك. فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئن بالإيمان، كما جرى لعمار حين أنزل الله تعالى: { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان } وكما قال تعالى: {إلا أن تتقوا منهم تقاة} فإن الآيتين متفقتين، كما نبه على ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران .
الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال، أو مشحة بوطن، أو عيال، أو خوف مما يحدث في المآل. فإنه في هذه الحال يكون مرتدا، ولا تنفعه كراهته في الباطن، وهو ممن قال الله فيه: { ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين } فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل بالحق أو بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظا من حظوظ الدنيا، فآثروه على الدين. هذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وأما ما يعتقده كثيرا من الناس عذرا، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفا لا حقيقة له، ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين، والانقياد لهم .
وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعا دنيويا، تخيل أنه يجوز له موافقة المشركين لأجل ذلك، وشبه على الجهال أنه مكره. وقد ذكر العلماء صفة الإكراه.).

فمن انتسب لجيش الطاغوت غير مكره فهو مرتد لأنه دخل في طاعتهم وأظهر لهم الموافقة من أجل تحصيل عرض من الدنيا قليل ومثل هذا لا يعد عذرا بإجماع العلماء فأكثر الناس لم يدخلوا في جيش الطاغوت ومع ذلك لم يموتوا جوعا أو فقرا فإن من يتق الله يجعل له مخرجا وأعظم تقوى لله تعالى على وجه الأرض هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فإنه أصل كل تقوى ومن لم يحقق هذا الأصل فلا تقوى له أبدا فإن كل عمل ولو كان من تقوى الله تعالى مع عدم تحقق أصل التقوى فإنه عمل باطل حابط وإن كان عملا صالحا كما قال تعالى {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً }[الفرقان٢٣ أي من عمل صالح فإنه لا بقاء لعمل مع نقض أصل الدين وفي الحديث الصحيح عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ « لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ» فهذا المشرك كان يعمل صالحا ولكن لم يدخل الإسلام فلم ينفعه هذا العمل الصالح ولو أنه أسلم وحقق أصل الدين لنفعه هذا العمل وإن كان قد عمله في الجاهلية كما هو مفهوم هذا الحديث فإنه لو قال رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين لنفعه هذا العمل الصالح وكما هو منطوق الحديث الصحيح عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ – رضى الله عنه – قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِى الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ فَقَالَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – « أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ » .

قال تعالى {قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ

تَعْلَمُونَ}[الأعراف:٣٨]

وفي آية أخرى بين الله تعالى سبب ضلالهم {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا }[الأحزاب:٦٧] فهؤلاء الجند يطيعون الطواغيت بكل ما يأمروهم به دون نظر إلى شرع أو دين بل ولا إلى عقل وهذا هو عينه حكم الطاغوت الذي أمر الله تعالى بالكفر به ومع ذلك هم لهم جند محضرون لا يخالفوهم ولا يتمردون عليهم لأهم يعلمون أهم لو فعلوا ذلك لقطعوا عنهم رواتبهم ولطردوهم من عملهم فتجدهم عندما يأمروهم يطيعوهم سراعا كأهم إلى نصب يوفضون بل هم حقيقة إلى نصب يوفضون .

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ }[آل عمران:١٤٩]

قال الطبري رحمه الله (يعنـي بذلك تعالـى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, فـي وعد الله ووعيده وأمره ونهيه {إنْ تُطِيعُوا الّذِينَ كَفَرُوا}, يعنـي: الذين جحدوا نبوّة نبـيكم مـحمد صلى الله عليه وسلم من الـيهود والنصارى, فـيـما يأمرونكم به, وفـيـما ينهونكم عنه, فتقبلوا رأيهم فـي ذلك, وتنتصحوهم فـيـما تزعمون أنهم لكم فـيه ناصحون, {يَرُدّوكُمْ علـى أعْقابِكُمْ} يقول: يحملوكم علـى الردّة بعد الإيـمان والكفر بـالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام, {فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ} يقول: فترجعوا عن إيـمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين, يعنـي: هالكين, قد خسرتـم أنفسكم, وضللتـم عن دينكم, وذهبت دنـياكم وآخرتكم. ينهي بذلك أهل الإيـمان بـالله أن يطيعوا أهل الكفر فـي آرائهم, وينتصحوهم فـي أديانهم).

ويجب أن يفرق هنا بين الطاعة العامة وبين الطاعة الخاصة فمن أطاع غير النبي صلى الله عليه وسلم طاعة عامة بأن لا يخرج عن قوله ولا يخالفه فهذا كافر وأما من أطاع في مسألة معينة فيما دون الكفر فهذا عاص له حكم أمثاله من العصاة فإن اعتقد أن ما

يعتقده الكافر من تحليل الحرام أو تحريم الحلال فهذا كافر بإجماع المسلمين سواء أطاعه أم لم يطعه .

قال تعالى {أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }[الحشر:١١] .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: (فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم والخروج معهم إن جلوا نفاقا وكفرا وإن كان كذبا، فكيف بمن أظهر لهم ذلك صادقا، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها، ونصرهم وانقاد لهم، وصار من جملتهم وأعانهم بالمال والرأي؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفا من الدوائر، كما قال تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} [المائدة:٥٢]).

فهؤلاء واعدوا الكفار بالطاعة العامة فقالوا (وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً ...)فكفروا بذلك كما أن جند الطاغوت واعدوهم بأن لا يطيعوا فيهم أحدا أبدا حتى لو كانت مواعدة وإنما كذبوا عليهم وهذا كفر أكبر مخرج من الملة بنص الكتاب وإجماع العلماء .

وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ }[البقرة:٩٣]

فحكم الله تعالى بكفر من قال أقر بالسمع والطاعة لله تعالى ثم خالف فعله قوله بأن صرف الطاعة العامة لغير الله تعالى فهو ممن لم يؤمن بالله تعالى فإن من أصل الإيمان

الاستسلام والانقياد لله تعالى كما قال تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[البقرة:٢٨٥] فمن لم ينقد ويستسلم لله تعالى واستكبر عن طاعته كافر ومن صرف الطاعة لله تعالى ولغيره فقد أشرك مع الله تعالى غيره وجعل لله ندا في الطاعة فكيف بمن صرف الطاعة كلها لغير الله تعالى فهذا ولا شك أشد كفرا من الصنفين لأنه جمع الاستكبار عن طاعة الله تعالى وصرف كامل الطاعة لغير الله تعالى ويجعل لمن عبده من الطواغيت ندا في هذه العبادة .

وقال تعالى {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}[النساء:٤٦] .

فهولاء الذي يقدمون الطاعة والخضوع والانقياد للطواغيت قد يقول قائل عنهم أنهم يصلون ويصومون فهم طائعون لله تعالى قيل هؤلاء طاعتهم واستسلامهم وانقيادهم للطاغوت مقدم عندهم على طاعة الله تعالى لذا تجدهم متى ما خالف أمر الطاغوت أمر الله تعالى تركوا أمر الله تعالى وانقادوا لأمر الطاغوت وهذا هو عينه كفر من سبق من الأمم في جعلهم لله ندا في الطاعة أو ربا من دون الله في الطاعة كالأحبار والرهبان والكبراء والسادة وغيرهم من الطواغيت وهذا قمة الشرك بل يفوق هذا شرك مشركي العرب في العبادة فإن أصل شرك مشركي العرب هو جعل لله ندا في الطاعة فهم قبلوا من طواغيتهم ما أمروهم به من العبادة أولا ثم عبدوا هذه الطواغيت ثانيا ولو لم يأمرهم كبرائهم وسادتهم لما عبدوا غير الله تعالى لذا قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا

النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[سبأ:٣٣]

ولو كان تركهم للشرك إنما بأمر السادة والكبراء لا لأن عبادة غير الله باطلة يجب البراءة منها ومفارقتها فهذا هو شرك الطاعة فهو لم يتركه طاعة لله تعالى إنما طاعة للسادة والكبراء .

فالكبراء هم الذي أمروهم بعبادة غير الله تعالى وجعل لله أنداد ولم يعذروا في الاستضعاف كما هو صريح الآية فمن وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة لا يعذر إلا بالإكراه بإجماع الأمة .

فهؤلاء أشركوا بالله تعالى في الطاعة قبل وقوعهم في شرك العبادة فكان كفرهم من وجهين من جهة شرك الطاعة ومن جهة شرك العبادة .

ولا ينفعهم أنهم يصلون ويصومون فإن لليهود والنصارى ومشركي العرب عبادات وطاعات يتقربون بها إلى الله تعالى ولم تنفعهم تلك العبادات لما لم يحققوا أصل قبول هذه العبادات وهو إخلاص العبادة لله تعالى كم قال تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[البينة:٥]
أي يخلصون الطاعة لله تعالى مائلين عن الشرك إلى التوحيد.

وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا

لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢)}[سبأ] .

فمن التزم طاعة إمام معين أو أمير في كل ما يأمره به وينهاه دون الرجوع إلى الكتاب والسنة فهذا قد جعل لله ندا في الطاعة فمن رضي بهذه الطاعة من العلماء والأمراء فهو طاغوت قال ابن القيم رحمه الله (والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته).

قال الشيخ سليمان بن سحمان تعليقا على كلام ابن القيم السابق (وحاصله: أن الطاغوت ثلاثة أنواع: طاغوت حكم، وطاغوت عبادة، وطاغوت طاعة ومتابعة).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (وقال تعالى: { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة :٢٥٦] والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود أو متبوع أو مطاع)

وهذه حقيقة العسكرية فمن قواعد العسكرية أن يطيعهم طاعة عمياء ولا يخالفهم حتى لو علم أن قولهم وفعلهم خطأ وهذه قمة العبادة لهم لذا لما تنكر على أحدهم قال (*إنما أنا عبد مأمور*)و هذا ما أنكره الله تعالى على النصارى في قوله تعالى {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً

وَاحِداً لاَّ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }[التوبة:٣١]

وعَنْ عَدِىِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِىَّ –صلى الله عليه وسلم– وَفِى عُنُقِى صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ. قَالَ :« أَجَلْ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ ».

ويدخل في هذه الآية صنفان :

الأول: من اتخذهم أنداد لله تعالى في الطاعة يطيعهم طاعة عامة يقبل قولهم ولا يستطيع رده ولا يخرج عن قولهم إذا أمروه أو نهوه فهذا كفر أكبر مخرج من الملة سواء اعتقد ما يرونه من الحلال والحرام أو لم يعتقد فإن مثل لم يكفر بالطاغوت فإن الكفر بالطاغوت لا يتم إلا باعتقاد بطلان عبادتهم وبغضهم ومثل هذا لم يحقق هذا الأصل بل عبدهم من دون الله تعالى بأن أطاعهم كما يطيع الله تعالى وقبل قولهم وإن خالف أمر الله تعالى ونهيه .

ومثل هذا لا يعذر بجهل ولا تأويل وإن ظن أن فعله ليس عبادة فإن من أطاع الأحبار والرهبان لم يكن يعتقد أن طاعتهم عبادة لذا أنكر عدي رضي الله عنه أنهم كانوا يعبدونهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن مجرد هذه الطاعة عبادة من دون الله قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله (ولما علم الشيطان: أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألهاً، أخرجه في قالب آخر، تقبله النفوس وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" ليشربن أناساً من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها " وكذلك من زنى، وسمى ما فعله: نكاحا، فتغيير الأسماء، لا يزيل الحقائق، وكذا من

ارتكب شيئا، من الأمور الشركيه، فهو مشرك، وإن سمى ذلك توسلاً، وتشفعاً يوضح ذلك: ما ذكر الله في كتابه، عن اليهود، والنصارى، بقوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)الآية [التوبة:٣١]. وروى الإمام أحمد، والترمذي وغيرهما :أن عدى بن حاتم، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تنصر في الجاهليه، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)الآية، قال يا رسول الله: إنهم لم يعبدوهم، فقال صلى الله عليه وسلم: " بلا إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام، فذاك عبادتهم إياهم " . وقال بن عباس وحذيفة بن اليمان، في تفسير هذه الآية: انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، فهؤلاء الذين اخبر الله عنهم في هذه الآية، لم يسموا أحبارهم، ورهبانهم، أربابا ولا آلهة، ولا كانوا يظنون: أن فعلهم هذا معهم عباده . لهم، ولهذا قال عدى: إنهم لم يعبدوهم، وحكم الشيء تابع لحقيقتة، لا لاسمه، ولا لاعتقاد فاعله، فهؤلاء كانوا يعتقدون أن طاعتهم في ذلك ليس بعباده لهم، فلم يكن ذلك عذرا لهم، ولا مزيلا لاسم فعلهم، ولا لحقيقته وحكمه.).

قال شيخ الإسلام رحمه الله (فإن ظن أن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ــ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام ــ فهذا كافر يجب قتله بعد استتابته؛ لأن موسى ــ عليه السلام ــ لم تكن دعوته عامة، ولم يكن يجب على الخضر اتباع موسى ــ عليهما السلام ــ بل قال الخضر لموسى: إني على علم من اللّه علمنيه اللّه لا تعلمه، وأنت على علم من اللّه علمكه اللّه لا أعلمه. فأما محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب فهو رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين؛ الجن والإنس، عربهم وعجمهم، دانيهم وقاصيهم، ملوكهم ورعيتهم، زهادهم وغير زهادهم. قال اللّه تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}[سبأ:٢٨]، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [الأعراف:١٥٨]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة). وهو خاتم الرسل، ليس بعده نبي ينتظر، ولا كتاب يرتقب، بل هو آخر الأنبياء، والكتاب الذي أنزل عليه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه. فمن اعتقد أن لأحد من جميع الخلق علمائهم وعبادهم وملوكهم خروجا عن اتباعه وطاعته وأخذ ما بعث به من الكتاب والحكمة، فهو كافر.).

وقال رحمه الله (فدين الأنبياء واحد، وهو دين الإسلام، كلهم مسلمون مؤمنون، كما قد بين الله في غير موضع من القرآن، لكن بعض الشرائع تتنوع، فقد يشرع في وقت أمرًا لحكمة، ثم يشرع في وقت آخر أمرًا آخر لحكمة، كما شرع في أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس ثم نسخ ذلك وأمر بالصلاة إلى الكعبة، فتنوعت الشريعة والدين واحد، وكان استقبال الشام ذلك الوقت من دين الإسلام، وكذلك السبت لموسي من دين الإسلام، ثم لما نسخ صار دين الإسلام هو الناسخ وهو الصلاة إلى الكعبة، فمن تمسك بالمنسوخ دون الناسخ فليس هو على دين الإسلام ولا هو متبع لأحد من الأنبياء، ومن بدل شرع الأنبياء وابتدع شرعًا فشرعه باطل لا يجوز اتباعه، كما قال: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ } [الشوري:٢١]؛ ولهذا كفر اليهود والنصارى؛ لأنهم تمسكوا بشرع مبدل منسوخ، والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ما شرعه من الدين وهو ما أتي به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة وهو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسنة.)

فمن اتبع الشرع المنسوخ اليوم كالتوراة ة الإنجيل كافر بإجماع العلماء فكيف بمن اتبع شرع مبدل فإنه يكفر من باب أولى وهؤلاء الجند عندهم شرع ومن المعلوم ضرورة بالحس والمشاهدة أنه ليس شرع الله لا منسوخ ولا غير منسوخ وإنما هو شرع مبدل وضعه الطواغيت وألزموا الناس به وكل شرع مبدل فهو طاغوت يجب اعتقاد بطلانه وبغضه وعداوته والبراءة من أهله وتكفيرهم وقتالهم عند القدرة وهؤلاء الجند عاهدوا الطواغيت على التمسك بهذا الشرع وعدم مخالفته وإلزام الناس وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت فإذا كان كعب بن الأشرف آمن بالطاغوت لما قال لمشركي قريش أنهم أهدى من النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً }[النساء:٥١]

قال الطبري حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: {أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الكِتاب يُؤْمِنُونَ باجِبْتِ والطّاغُوتِ}... الآيَة, قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت في كعب بن الأشرف وحيـــي بن أخطب ورجلين من اليهود من بني النضير لقيا قريشا بموسم, فقال لهم المشركون: أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فإنا أهل السدانة والسقاية وأهل الحرم. فقالا: لا, بل أهدى من محمد وأصحابه! وهما يعلمان أنهما كاذبان, إنما حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه.).

فكيف بمن فضل حكم الطاغوت على حكم الله والتزم حكم الطاغوت وألزم الناس به وعاقب من خالفه .

الحالة الثانية: وهي على قسمين وقد فصل شيخ الإسلام رحمه الله هذه الحالة فقال

(وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل).قال ابن عباس وأصحابه: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق. وكذلك قال أهل السنة كأحمد بن حنبل وغيره، كما سنذكره ــ إن شاء اللّه ــ وقد قال اللّه تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة:٣١]. وفي حديث عدي بن حاتم ــ وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما ــ وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو نصراني فسمعه يقرأ الآية، قال: فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال:(أليس يحرمون ما أحل اللّه فتحرمونه، ويحلون ما حرم اللّه فتحلونه؟!) قال: فقلت: بلى. قال:(فتلك عبادتهم). وكذلك قال أبو البختري: أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون اللّه ما أطاعوهم، ولكن أمروهم، فجعلوا حلال اللّه حرامه، وحرامه حلاله، فأطاعوهم،فكانت تلك الربوبية. وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل ؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب اللّه ما أمروا به ونهوا عنه،فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا،وما نهونا عنه انتهينا لقولهم. فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال؛ لا أنهم صلوا لهم، وصاموا لهم، ودعوهم من دون اللّه، فهذه عبادة للرجال،وتلك عبادة للأموال، وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم،وقد ذكر اللّه أن ذلك شرك بقوله:{لاّ إِلّهَ إِلاّ هوّ سبّحّانّهٍ عّمَّا يشًرٌكٍونّ }، فهذا من الظلم الذي يدخل في قوله: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} [الصافات:٢٢، ٢٣]. فإن هؤلاء والذين أمروهم بهذا هم جميعًا معذبون، وقال: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء:٩٨]. وإنما يخرج من هذا من عُبد مع كراهته لأن يعبد ويطاع في معصية اللّه، فهم الذين سبقت لهم الحسنى، كالمسيح والعزير

وغيرهما، فأولئك {مُبْعَدُون}. وأما من رضي بأن يعبد ويطاع في معصية اللّه، فهو مستحق للوعيد، ولو لم يأمر بذلك، فكيف إذا أمر؟! وكذلك من أمر غيره بأن يعبد غير اللّه، وهذا من أزواجهم؛ فإن أزواجهم قد يكونون رؤساء لهم، وقد يكونون أتباعًا، وهم أزواج وأشباه لتشابههم في الدين، وسياق الآية يدل على ذلك؛ فإنه سبحانه قال:{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}.قال ابن عباس: دلوهم. وقال الضحاك مثله. وقال ابن كيسان:قدموهم. والمعنى: قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه؛ ولهذا تسمى الأعناق الهوادي؛ لأنها تقود سائر البدن، وتسمى أوائل الوحش الهوادي.{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ} [الصافات:٢٤، ٢٥] أي:كما كنتم تتناصرون في الدنيا على الباطل {بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ}[الصافات:٢٢،٣٦]. وقال تعالى: {قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} [الأعراف:٣٨،٣٩]، وقال تعالى: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} [غافر:٤٧،٤٨]، وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ:٣١,٣٣]. وقوله في سياق الآية: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات:٣٥]،ولا ريب أنها تتناول الشركين: الأصغر والأكبر، وتتناول ــ أيضًا ــ من استكبر عما أمره اللّه به من طاعته، فإن ذلك من تحقيق قول:لا إله إلا اللّه؛ فإن الإله هو المستحق للعبادة، فكل ما يعبد به اللّه فهو من تمام تأله العباد له،فمن استكبر عن بعض عبادته سامعًا مطيعًا في ذلك لغيره، لم يحقق قول: لا إله إلا اللّه،في هذا المقام. وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ــ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم اللّه وتحريم ما أحل اللّه يكونون على وجهين: أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين اللّه فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم اللّه، وتحريم ما أحل اللّه، اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله اللّه ورسوله شركًا ــ وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم ــ فكان من اتبع غيره في خلاف الدين ــ مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله اللّه ورسوله ــ مشركًا مثل هؤلاء. والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية اللّه، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(إنما الطاعة في المعروف)،وقال:(على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية)،وقال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وقال: (من أمركم بمعصية اللّه فلا تطيعوه). ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام،إن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسول،لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى اللّه ما استطاع ــ فهذا لا يؤاخذه اللّه بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي

أطاع به ربه. ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول، ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول ــ فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه اللّه، لاسيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باللسان واليد، مع علمه بأنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه. ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه، وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال، وإن كان عاجزًا عن إظهار الحق الذي يعلمه، فهذا يكون كمن عرف أن دين الإسلام حق وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق، لا يؤاخذ بما عجز عنه، وهؤلاء كالنجاشي وغيره. وقد أنزل اللّه في هؤلاء آيات من كتابه، كقوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ} [آل عمران:١٩٩]، وقوله: {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف:١٥٩]، وقوله: {مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ} [المائدة:٨٣]. وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد ــ فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ، كما في القبلة. وأما إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه،من غير علم أن معه الحق ــ فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا، لم يكن عمله صالحًا. وإن كان متبوعه مخطئًا، كان آثما، كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار. وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، فإن ذلك لما أحب المال حبًا منعه عن عبادة اللّه وطاعته، صار عبدًا له. وكذلك هؤلاء، فيكون فيه شرك أصغر، ولهم من الوعيد بحسب ذلك. وفي الحديث:(إن يسير الرياء شرك). وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشرك على كثير من الذنوب.).

وقول شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الموضع (ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام،إن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسول،لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى اللّه ما استطاع ـــ فهذا لا يؤاخذه اللّه بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه.)لا يدخل فيها الطاعة العامة للطواغيت وإنما الطاعة في بعض المسائل التي قد تشكل على بعض الناس مع ثبوت الطاعة العامة لله تعالى فهؤلاء إن كانت هذه المسائل مما تخفى عليهم ومثلهم يجهلها فيعذرون فإن استفرغوا وسعهم وطلبوا الحق ولم يصلوا إليهم فلهم أجر واحد على اجتهادهم أما الطاعة العامة لغير الله تعالى كطاعة الطواغيت اليوم والدخول في أمرهم ونهيهم فمثل هذا لا يخفى على مسلم وقد نقلنا كلام الشيخ رحمه الله فيما سبق فيمن ظن أنه يسعه الخروج من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم كما يسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليه السلام وهذا هو حال جند الطاغوت يدخلون حكم الطاغوت ويطيعونه طاعة عامة كما يطاع الله تعالى فإذا كان الرسل لا يجب طاعتهم إلا بإذن الله تعالى فكيف بطاعة الطواغيت كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً }[النساء:٦٤] وقال تعالى {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً }[النساء:٨٠] وقال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) [الحاقة] وقال تعالى {قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ }[آل عمران:٣٢] فحكم الله تعالى بكفر من لم يطع الله تعالى

ورسوله صلى الله عليه وسلم بمجرد التولي من غير تكذيب أو استكبار أو شك أو غيرها من أنواع الكفر ويدخل في هذه الآية التولي العام والتولي الخاص ويلزم من هذا التولي الدخول في طاعة الطاغوت ولا شك فإن بني آدم لا بد لهم من أمر أو نهي فيما يرونه مصلحة لهم فإن أعرضوا عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بد أن يقعوا في طاعة الطاغوت والدخول في حكمه وهذا ما يقع فيه جند الطاغوت فإنهم لما أعرضوا عن طاعة الله تعالى والتزموا الدخول في جند الطاغوت فلا بد من أمر ونهي يأتمر به الجند ونهي ينتهون عنه فإن لم يكن هذا الأمر والنهي هو شرع الله فلا يمكن أن يكون إلا شرع الطاغوت والتزام أمر الطاغوت ونهيه عبادة له ولا شك ومثل هذا لم يكفر بالطاغوت بإجماع العلماء .

وغالب هؤلاء الجند إنما يعرض عن شرع الله تعالى ويتبع شرع الطاغوت من أجل الدنيا كما قال تعالى ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)﴾ [النجم] قال القرطبي رحـــمه الله (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا" يعني القرآن والإيمان. وهذا منسوخ بآية السيف. "ولم يرد إلا الحياة الدنيا" نزلت في النضر. وقيل: في الوليد. "ذلك مبلغهم من العلم" أي إنما يبصرون أمر دنياهم ويجهلون أمر دينهم. قال الفراء: صغرهم وازدرى بهم؛ أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: أن جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله. "إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله" أي حاد عن دينه "وهو أعلم بمن اهتدى" فيجازي كلا بأعمالهم).

فهؤلاء الجند اليوم أعرضوا عن طاعة ربهم واتباع رسله وكتبه والتزموا طاعة الطاغوت وحكمه من أجل الدنيا فهذا هو مبلغهم من العلم ولا يكون هذا عذر لهم كما لم يكن عذرا للمشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذا التفريق قل من يفقهه وهو التفريق بين الطاعة العامة وبين الطاعة الخاصة وأن الطاعة العامة لغير الله هي أصل الإيمان بالطاغوت ولا يشترط للطاعة العامة تغير الاعتقاد كما قرره شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في الطاعة الخاصة .

والمراد بالطاعة العامة هي أن يجعل لله ندا في الطاعة يطيعه كما يطيع الله تعالى لا يخرج عن قوله ويلتزم رأيه وإن كان يعتقد أنه باطل من أجل الدنيا ويعطيه العهد على ذلك فهذه من الشرك الأكبر المخرج من الملة .

وأما الطاعة الخاصة وهي التزام طاعة الله تعالى على العموم ولكنه في بعض الأمور قد يطيع غير الله تعالى فصورته كمن التزم أمر الله نهيه على العموم إلا أنه غلبته شهوته في شرب الخمر مثلا فأفتاه بعض الأحبار بجواز شرب الخمر فهو إن رضي بهذا الحكم وقبله وكان مثله لا يجهل هذا الحكم فهو كافر وإن لم يقبل هذا الحكم وبغضه واعتقد بطلانه ولكنه غلبته شهوته فشرب الخمر فهذا عاص له حكم أمثاله من العصاة ولا شك أن من قبل الشرع المخالف لشرع الله تعالى ورضي به فقد رضي بشرع الطاغوت واتبعه وإن كان حكما واحدا وأما من رضي بأن يطيع الطاغوت طاعة عامة فهذا عبد للطاغوت وليس عبدا لله فإن من حقيقة عبودية الله تعالى الالتزام بشرع الله تعالى ظاهرا وباطنا على العموم ثم العمل بما التزمه على العموم بما يرد من أحكام خاصة وبلغته وهو قادر على العمل بها فهذه حقيقة عبودية الله تعالى فمتى ما نقضت هذه العبودية بأن التزم عبادة غير الله تعالى على العموم فهذا عبد للشيطان وليس عبدا لله ولو كان جاهلا أو متأولا ومتى ما التزم على العموم طاعة الله تعالى ثم رضي بغير شرع الله تعالى وقبله ولو في مسألة واحدة ومثله لا يجهل شرع الله فيها فكذلك هذا نقض عبوديته الله تعالى وأما

إن حقق طاعة الله على العموم ولكن خالف عمله اعتقاده في مسألة معينة كشرب الخمر مثلا أو الزنا أو غيرها من المحرمات أو ترك بعض الواجبات مع تأثمه وقبوله لحكم الله تعالى وشرعه في هذه المسألة وخوفه من الله تعالى وإقراره بخطأه فهذا نقصت عبودية الله تعالى عنده ولم تنقض فإن حقيقة العبودية هي كمال الذل والخضوع لله تعالى مع كمال المحبة له تعالى ويستحيل أن تتم هذه العبودية مع عدم الخضوع لله تعالى والذل له فمن ترك طاعة الله تعالى على العموم فهذا لم يحقق الذل لله تعالى ولزم منه ذلك وخضوعه لغير الله تعالى وهذا هو عين الشرك الذي حرمه الله تعالى وحكم على فاعله بالخروج من الإسلام قال تعالى {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً }[النساء:٨٠] وقال تعالى {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ }[النور:٤٧] فحكم الله تعالى على من ادعى الإيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم والطاعة ثم لم يحقق هذا الإيمان بأنه حقيقة ليس بمؤمن لأن الإيمان لا يتحقق إلا بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم رحمه الله (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل)و هذه الأصول التي ذكرها ابن القيم رحمه الله متفق عليها من حيث الجملة بين جميع من ينتسب للقبلة سنيهم وبدعيهم وإن خالف بعض أهل البدع في تفصيل بعضها .

وقال تعالى {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }[المائدة:٩٢] وقال {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[الأنفال:١] وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ

تَسْمَعُونَ }[الأنفال٢٠ وقال تعالى {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }[النور:٥٤] وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ }[محمد:٣٣] فمن تولى عن طاعة الله ورسوله فقد أبطل عمله قال ابن كثير رحمه الله (ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال, ولهذا قال تعالى: {ولا تبطلوا أعمالكم} أي بالردة, ولهذا قال بعدها: {إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم} كقوله سبحانه وتعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} الآية.) .

وقال تعالى {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }[التغابن:١٢]

وقال تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }[الأنعام:١٢١]

وهذه الآية يدخل فيها الطاعة العامة والطاعة الخاصة فمن أطاع الكفار طاعة عامة فقد اتخذهم أندادا مع الله ومثل هذا لم يكفر بالطاغوت ولا شك وكذلك من أطاعهم طاعة خاصة بأن وافقهم على قولهم الباطل المخالف للكتاب والسنة فهذه الآية وإن كانت نزلت لسبب خاص فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإذا كان من أطاع المشركين في حكم واحد ورضي بقولهم يصبح مشركا فمن ترك طاعة الله على العموم وأطاع الطاغوت فهذا يكون مشركا من باب أولى قال ابن كثير رحمه الله (وقوله تعالى: {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون} أي حيث عدلتم, عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره, فقدمتم عليه غيره, فهذا هو الشرك, كقوله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله} الآية, وقد روى الترمذي: في تفسيرها عن عدي بن حاتم, أنه قال:

يا رسول الله ما عبدوهم, فقال «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم».)

والتفصيل الذي ذكرناه في الفرق بين الطاعة العامة والطاعة الخاصة ينطبق كذلك على الحكم بغير ما أنزل الله تعالى فهو ينقسم إلى حكم عام كمن حكم بالطاغوت في كل شيء وقدمه على حكم الله تعالى وإن أدخل بعض أحكام الله تعالى إنما يدخلها تبعا لحكم الطاغوت لا لحكم الله تعالى فهذا شرك أكبر مخرج من الملة لا يعذر صاحبه بجهل ولا تأويل أما من حكم بما أنزل الله على العموم باطنا وظاهرا ثم وضع حكما واحدا عاما خلاف حكم الله تعالى يحكم بهذا الحكم على كل معين يتحاكم إليه في نفس هذه المسألة فإن كانت مسألة خفية أو جزئية فإنه تقام عليه الحجة ويبين له بطلان حكمه فإن أصر كفر وأما إن كانت مسألة ظاهرة فإن كان مثله يجهل هذا الحكم فلا يكفر حتى يعرف حكم الله تعالى فإن عرف وأصر كفر وأما إن كان مثله لا يجهل هذا الحكم فهذا كافر وأما إن كان يحكم بما أنزل الله تعالى على العموم ولم يشرع مع الله تشريعا عاما وإنما حكم على بعض الأعيان بحكمه هو مع إقراره بالخطأ والذنب والتأثم وفعل ذلك لشهوة أو مصلحة فهذا هو الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة بأنه كفر دون كفر والفرق بين الكليات والمعينات لا يخالف فيه إلا من طمس الله على بصيرته بل هذا معلوم ضرورة عند جميع البشر كافرهم ومسلمهم وبجميع الشرائع المنزلة والمبدلة فكل شريعة لا بد لها من كليات تقوم عليها هذه الشريعة وهذه الكليات يحكم بها على المعينين ممن يتحاكم إلى هذه الشرائع فحكم الياسق وأحكام القوانين اليوم قوانين كلية وأحكام معينة فإذا أراد أحد الناس التحاكم إلى هذه الشرائع المبدلة اجتهد الحاكم في إنزال هذه الحكم الكلي على القضية المعينة فإن خالف القاضي الحكم الكلي أنكر عليه مخالفته لهذا الحكم الكلي وطولب بمراجعة حكمه وهو ما يسمى بالاستئناف وإن وضع تشريعا عاما يلزم الناس

جميعا ولم يأذن له بوضعه أنكر عليه أشد الإنكار لأن وضع تشريع كلي يخالف ما شرعة الطاغوت هذا خروج عن حكم الطاغوت ويعاقب لأنه خرج عن حكم الطاغوت فيما لم يأذن به الطاغوت وعندما يضع تشريعا كليا عاما يخالف أصل الحكم بالطاغوت عد خارجا عن دين الطاغوت لأنه خرج عن أمر الطاغوت ونهيه بالكلية وهذا عين المحادة والمضادة لحكم الله تعالى بل عين الطاعة والمتابعة للطاغوت .

فمن أعظم الضلال اليوم الاحتجاج بأن من تابع الطاغوت وأطاعه طاعة مطلقة لا يكفر حتى تقام عليه الحجة فإن هذا الأصل فيمن كان ملتزما طاعة الله ورسوله على العموم ثم وقع في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله تعالى في مسألة واحدة فهذا إن كان مثله يجهل هذه المسألة يعرف هذه المسألة فإن أصر كفر أو أنها من المسائل الخفية والجزئية تقام عليه الحجة وتبين له المحجة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله في وصف جيش التتار (فهؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام وهم جمهور العسكر ينطقون بالشهادتين إذا طُلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فيهم من يُصلي إلا قليل جداً، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدر، وعندهم من الإسلام بعضه، وهم متفاوتون فيه، لكن الذي عليه عامتهم والذي يُقاتلون متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام أو أكثرها فإنهم أولاً يوجبون الإسلام ولا يُقاتلون من تركه، بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله، وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين فلا يُجاهدون الكفار ولا يُلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار، ولا ينهون أحداً من عسكرهم أن يعبد ما شاء

من شمس أو قمر أو غير ذلك، بل الظاهر من سيرهم أن المسلم عندهم بمنزلة العدل أو الرجل الصالح، والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين وكذلك عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم إلا أن ينهاهم عنها سلطانهم؛ أي لا يلتزمون تركها، وإذا نهاهم عنها أو عن غيرها أطاعوه لكونه سلطاناً لا بمجرد الدين، وعامتهم لا يلتزمون الواجبات، ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله، بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارةً وتخالف أخرى

وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبداً).

فتدبر كلام الشيخ رحمه الله (ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله، بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارةً وتخالف أخرى

وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم).

وكيف ذكر أن الأصل فيهم أنهم لا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله ويدخل فيه كذلك الطاعة والمتابعة فإن أكثر الناس اليوم لا يلتزمون بينهم طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما يطيعون حكم الطاغوت ويتابعونه وإذا كانت هناك أمور يحكمون بها أو يطيعونها من أحكام الطاغوت لأنه من حكم الطاغوت ولأن الطاغوت أمر بها لا أنها من دين الإسلام فحقيقة هؤلاء أنهم يتخذون أربابا من دون الله لا من جنس من يتخذ أربابا مع الله فالي يتخذ أربابا من دون الله أعظم كفرا ممن يتخذ أربابا مع الله لأنه أصلا لا يلتزم طاعة الله إنما يلتزم طاعة الطاغوت أما من يتخذ ربا مع الله هو من يطيع الله ويطيع غيره ويجعل غير الله ندا لله في الطاعة والحكم ومن يتخذ ربا من دون الله

أو ينصب نفسه ربا من دون الله هو من جنس فرعون وأتباعه ممن آمن به فإن فرعون يأمر الناس بطاعته من دون الله تعالى {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }[غافر:٢٩]

{فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى }[النازعات:٢٤]

وليس معنى الأعلى هنا علو المكان لأنه يعلمون أن فرعون في الأرض ولكن المقصود هنا علو المكانة والتعظيم أي أنا ربكم الذي يجب طاعته وعدم الخروج عن أمره وهذه حقيقة الربوبية أي أنه لا رب غيري وهذه حقيقة الطواغيت اليوم فإنهم يقولون للناس عليكم بطاعة هذه الدساتير ولا يجوز لكم مخالفتها فهي التي توصلكم إلى الخير والصلاح والهدى في دنياكم ولا يأمرون بطاعة الله تعالى أبدا فهم يريدون أن يستأثروا بالطاعة من دون الله كما يريد فرعون هذا عندما قال (أنا ربكم الأعلى).

قال شيخ الإسلام (وقد بين القرآن أن السيئات من النفس وإن كانت بقدر الله فأعظمها جحود الخالق والشرك به، وطلب النفس أن تكون شريكة له سبحانه، أو إلها من دونه، وكل هذين وقع، فإن فرعون وإبليس كل واحد منهما يطلب أن يعبد ويطاع من دون الله، وهذا الذي في فرعون وإبليس غاية الظلم والجهل، وفي نفوس سائر الإنس والجن شعبة من هذا، وهذا إن لم يعن الله العبد ويهده وإلا وقع في بعض ما وقع فيه فرعون وإبليس بحسب الإمكان، قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون، إلا أنه قدر فأظهر، وغيره عجز فأضمر. وذلك أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف نفسه والناس رأى الواحد يريد نفسه أن تطاع وتعلو بحسب الإمكان، والنفوس مشحونة بحب العلو والرئاسة بحسب إمكانها، فتجده يوالي من يوافقه على هواه، ويعادي من يخالفه في هواه، وإنما معبوده ما يهواه ويريده، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ

{أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان:٤٣]، والناس عنده كما هم عند ملوك الكفار من الترك وغيرهم: [يال، ياغي]، أي صديقي وعدوي، فمن وافق هواهم، كان وليًا وإن كان كافرًا، وإن لم يوافقه، كان عدوا وإن كان من المتقين، وهذه حال فرعون.

والواحد من هؤلاء يريد أن يطاع أمره بحسب إمكانه، لكنه لا يتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الإلهية وجحود الصانع، وهؤلاء وإن أقروا بالصانع، فإذا جاءهم من يدعوهم إلى عبادة الله المتضمنة ترك طاعتهم عادوه، كما عادى فرعون موسى ــ عليه السلام ــ وكثير من الناس عنده عقل وإيمان لا يطلب هذا الحد، بل تطلب نفسه ما هو عنده، فإذا كان مطاعًا مسلمًا طلب أن يطاع في أغراضه، وإن كان فيها ما هو ذنب ومعصية لله، ويكون من أطاعه أحب إليه وأعز عنده ممن أطاع الله وخالف هواه، وهذه شعبة من حال فرعون وسائر المكذبين للرسل. وإن كان عالمًا أو شيخًا أحب من يعظمه دون من يعظم نظيره، وربما أبغض نظيره حسدًا وبغيًا، كما فعلت اليهود لما بعث الله تعالى من يدعو إلى مثل ما دعى إليه موسى قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا}الآية [البقرة:٩١]، وقال:{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة:٤]، وقال: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الشورى:١٤]؛ ولهذا أخبر عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون، وسلط عليهم من انتقم به منهم، فقال تعالى عن فرعون: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ}الآية [القصص:٤]؛ ولهذا قال تعالى:{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص:٨٣]. والله ــ سبحانه ــ إنما خلق الخلق لعبادته ليذكروه ويشكروه ويعبدوه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده، ويكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥]، وقال: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف:٤٥]، وقد أمر الرسل كلهم بهذا، وألا

يتفرقوا فيه فقال: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٩٢]، وقال: {يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} الآية [المؤمنون:٥١،٥٢].).

وقال رحمه الله (فَهَذا وأمثاله مِنْ مَقدمِيهم كانَ غَايَته بَعدَ الإسلامِ أنْ يَجعَلَ مُحمَّداً صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنزلةِ هذا الملعُون، وَمَعلومٌ أنَّ مُسَيلمة الكذَّابَ كانَ أقلُّ ضرَرَاً على المُسلمينَ مِنْ هذا، وادَّعَى أنَّه شَريكُ مُحمَّدَ في الرِّسالةِ، وبهذا استحَلَّ الصَّحابة قِتَاله وَقِتَال أصحَابِهِ المُرتَدِّينَ. فكيفَ بمَنْ كانَ فِيمَا يُظهرُهُ مِنَ الإسلامِ يَجْعَلُ مُحمَّداً كجنْكِسْخَان؟! وإلاَّ فَهُم مَعَ إظهَارِهِم للإسلامِ يُعَظِّمُونَ أمرَ جنْكِسخَان على المُسلمينَ المُتَّبعِينَ لشَريعةِ القرآنِ، ولا يُقاتِلونَ أولئِكَ المُتَّبعِينَ لِمَا سَنَّهُ جنْكِسْخَان كَمَا يُقاتِلون المُسلمينَ بلْ أعظمُ. أولئِكَ الكفَّارُ يَبذلونَ له الطَّاعةَ والإنقِيادِ، وَيَحْمِلونَ إليهِ الأموَالَ، ويُقِرُّونَ له بالنيَابَةِ، ولا يُخَالِفونَ مَا يَأمرُهُم بِهِ إلاَّ كَمَا يُخَالِفُ الخَارجُ عَنْ طاعةِ الإمَامِ للإمَامِ، وهُم يُحَارِبُونَ المُسلمينَ وَيُعَادُوهُم أعظمَ مُعَادَاةٍ، وَيَطلبُونَ مِنَ المُسلمينَ الطَّاعةَ لهم وَبَذلُ الأموَالِ، والدُّخُولُ فيمَا وَضعَه لَهم ذلك المَلِكَ الكَافِرُ المُشركُ المُشابهِ لِفِرعَونَ أو النَّمْرُوذِ ونَحوهِمَا؛ بلْ هُوَ أعظمُ فَسَاداً في الأرضِ منهُما قالَ اللهُ تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}، وهذا الكَافرُ عَلاَ في الأرضِ؛ يَستَضعِفُ أهلَ المِللِ كلِهِم مِنَ المُسلمينَ واليَهودِ والنَّصارى وَمَنْ خَالفَه مِنَ المُشركينَ بقتلِ الرِّجَالِ وَسَبيِّ الحَرِيمِ وَبأخذِ الأموالِ، وَبَهلكِ الحَرثِ وَالنَّسلِ واللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ، ويَرُدُّ النَّاسَ عَمَّا كانوا عليهِ مِنْ سُننِ الأنبيَاءِ والمُرسلينَ إلى أنْ يَدْخُلوا فِيمَا ابْتَدَعَه مِنْ سُنَّتِهِ الجَاهِلِيَّةِ وَشَريعَتِهِ الكفريَّةِ. فَهُم يَدعُونَ دِينَ الإسلامِ ويُعَظِّمُونَ دينَ أولئِكَ الكُفَّارَ على دِينِ المُسلمينَ، ويُطِيعُونَهم وَيُوَالونَهم أعظمُ بكثيرٍ مِنْ طاعةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَمُوَالاةِ المُؤمنينَ، والحُكمُ فِيمَا شَجَرَ بَينَ

أكابرهِم بِحُكمِ الجَاهِلِيَّةِ، لا بِحُكمِ اللهِ ورسولِهِ، وكذلكَ الأكابرُ مِنْ وُزَرَائِهم وغيرِهِم يَجْعَلونَ دِينَ الإسلامِ كدِينِ اليَهودِ والنَّصارى، وأنَّ هذهِ كلَّها طرقٌ إلى اللهِ، بِمَنْزِلةِ المَذَاهِبِ الأربَعَةِ عِندَ المُسلمينَ. ثُمَّ مِنهم مَنْ يُرَجحُ دِينَ اليَهودِ أو دِينَ النَّصارى، وَمِنهم مَنْ يُرَجحُ دِينَ المُسلمينَ، وَهذا القولُ فَاشٍ غَالبٍ فيهم. حتَّى في فُقهَائِهم وَعُبَادِهم لاسِيمَا الجَهْمِيَّة مِنَ الإتحَادِيَّةِ الفِرعَونِيَّةِ وَنَحوهم، فإنَّه غَلَبَتْ عَليهم الفَلسَفَة، وهذا مَذهَبُ كثيرٍ مِنَ المُتَفَلسِفةِ أو أكثرهم، وعلى هذا كثيرٌ مِنَ النَّصارى أو أكثرهم، وكثيرُ مِنَ اليَهودِ أيضاً، بلْ لو قالَ القائلُ: إنَّ غَالبَ خَواصِّ العُلماءِ مِنهم والعُبَّادِ على هذا المَذهَبِ لَمَا أبْعَدَ، وقدْ رَأيتُ مِنْ ذلكَ وَسَمِعْتُ مَا لا يَتَّسِعُ له هذا المَوضِع ومَعلومٌ بالإضطِرارِ مِنْ دِينِ المُسلمينَ وباتفاقِ جميعِ المُسلمينَ أنَّ مَنْ سَوَّغَ أتِّباعِ غيرَ دِينِ الإسلامِ أو أتِّباعُ شريعةٍ غيرِ شريعةِ مُحمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: فهُوَ كافرٌ، وَهُوَ كَكُفرِ مَنْ آمنَ ببعضِ الكتابِ وَكَفَرَ ببعضِ الكتابِ، كَمَا قالَ تعالى: {إنَّ الذينَ يَكفرُونَ باللهِ ورُسُلِهِ ويُريدُونَ أنْ يُفرِّقُوا بينَ اللهِ ورُسُلِهِ ويَقولونَ نُؤمنُ ببعضٍ وَنَكفرُ ببعضٍ ويُريدُونَ أنْ يَتَّخِذوا بَينَ ذلكَ سَبيلاً أولئِكَ هُم الكافرونَ حقًّا وأعتَدْنَا للكافرينَ عذاباً مُهيناً }.)

فكلام شيخ الإسلام رحمه الله ينطبق من حيث الإجمال على جيش الطاغوت اليوم بل ومن حيث التفصيل فإن وظيفة جيش الطاغوت اليوم أعظم بكثير مما وصفه شيخ الإسلام رحمه الله فجيش الطاغوت اليوم يلتزم طاعة الطاغوت طاعة عامة لا يخرج عن أمره ومن خرج عن أمره عرض على حكم الطاغوت وهي محكمة عسكرية لها أحكام خاصة غير حكم الطاغوت العام وهذه الأحكام لا ترجع إلى الكتاب ولا إلى السنة بل هي محض أهواء الكفار وآرائهم فمن خرج عن أمر الطاغوت عرض على هذه المحكمة الكفرية فتنظر هذه المحكمة العسكرية في ما يستحقه من حكم في طاغوتهم العسكري ثم يعاقب بموجب هذا الطاغوت .

وهذا الجيش لا يمنع في شرعته دخول من هو أكفر الناس يدخله النصراني والمشرك وممن ينتسب للإسلام حتى لو كان من أكفر الناس كالرافضي وغيره من المشركين ويدخله كذلك من تمرد على طاعة الله تعالى وشرد عن شرع الله شراد البعير فلا يعرف واجب ولا محرم وإذا جاء إلى شرع الطاغوت تجده لا يخرج عن عزائمه ولا رخصه ويتشدد في ذلك أتم التشدد ويدخله من لم يسجد لله سجدة واحدة ومنهم من يصلي كما عوده أهله ولا يمتنع من الدخول في حكم الطاغوت والثناء عليه والدفاع عنه والمصلون قلة فيهم وهؤلاء الجند يعظمون شرع الطاغوت ويعظمون مخالفته وإذا خالف أحدهم شرع الله تعالى فلا يبالون بذلك بل أكثرهم قد يصدر منه الاستهزاء بدين الله واحتقار أهله دون شعور بالخطأ .

ثم إنهم لا يوجبون الإسلام على الناس فالكافر والمسلم عندهم سواء ولا يقاتلون الكفار ولا من خرج عن الإسلام ولا يعرفون ما يخرج المسلم به من الإسلام وإن كان من أظهر الأمور ويوالون الكفار الأصليين ولو كانوا من أكابر أعداء الإسلام كما نراه اليوم من موالاة النصاري الأمريكان وغيرهم .

وحمايتهم لصروح الكفر كمجلس الأمة والمحاكم الكفرية وأماكن الترشيح في الانتخابات الكفرية وحماية مواطن الفواحش والمحرمات كبنوك الربا ودور السينما والصحف العلمانية وحماية الشخصيات ولو كان من أكفر خلق الله تعالى وغيرها والدفاع عنها ضد من يريد تقويضها وعقوبته أشد العقوبة حتى لو كان بالقتل والتشريد والسجن ومنع المجاهدين من حمل السلاح وجمعه وتجريدهم من السلاح وعقوبتهم لجمعهم السلاح لمخالفتهم القوانين فقوانينهم تجرم من اشترى السلاح لقتال الكفار

والمرتدين وتمنعهم من قتال الطواغيت بينما توجب على جند الطاغوت حمل السلاح لقتال الموحدين ولو كان من أكابر أولياء الله القائمين بشرعه .

ويعظم هؤلاء الجند من عظم وطنهم ولو كان من أكفر الناس ويسمونه وطني أي يعظم وطنه فدينهم هو وطنهم فمن حقر وطنهم وسفه أميرهم فعندهم خائن لوطنه ولو كان من خيار خلق الله تعالى فخير الناس عندهم من قتل دون وطنه وخير الأسارى من أسر من أجل الوطن والشهيد عندهم من قتل دون وطنه وهذا من أعظم المضادة لدين الله تعالى فالله تعالى يجعل أعظم القتال في سبيل الله تعالى وهؤلاء يجعلون أعظم القتال هو القتال من أجل الوطن قال تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[الأنفال:٣٩] وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَىُّ ذَلِكَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ». فهؤلاء قاتلون حمية لوطنهم ولو كان وطنهم بلغ من الكفر مبلغا لم يبلغه وطن ويقاتلون لوطنهم ولو كان عدوهم يريد نصرة دين الله تعالى وإقامة شرعه فهم يوالون من أجل وطنهم ويعادون من أجله ويقدمون أنفسهم وأموالهم رخيصة من أجله كما أن الموحد يقدم نفسه وماله من أجل الله فأصبح وطنهم معبود من دون الله تعالى يعبدونه بما يشرع لهم الشيطان من شرع الطاغوت فكل ما كان يجب أن يطاع لله تعالى فيه من أوامر ونواهي أصبح يطاع فيه الشيطان قال تعالى (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) [يس] .

قال ابن كثير رحمه الله (وقوله تعالى: {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين} هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم, الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين, وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم, ولهذا قال تعالى: {وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم} أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان, وأمرتكم بعبادتي, وهذا هو الصراط المستقيم, فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل: {ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً} يقال: جبلاً بكسر الجيم وتشديد اللام, ويقال جبلاً بضم الجيم والباء وتخفيف اللام, ومنهم من يسكن الباء, والمراد بذلك الخلق الكثير, قاله مجاهد وقتادة والسدي وسفيان بن عيينة. وقوله تعالى: {أفلم تكونوا تعقلون} أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له, وعدولكم إلى اتباع الشيطان.).

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره (ومن أصرح الأدلة في هذا: أن الله جل وعلا في سورة النساء بين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب. وذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلاً بَعِيداً} . وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور: أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلـــــهم).

وقال رحمه الله (ويفهم من هذه الآيات كقوله {وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا} أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله. وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات أخر. كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله: {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّه لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم. وهذا الإشراك في الطاعة، واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى ـــ هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌوَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ}، وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم: {يَٰأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيّاً}، وقوله تعالى: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَـٰثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَـٰناً مَّرِيداً} أي ما يعبدون إلا شيطاناً، أي وذلك باتباع تشريعه. ولذا سمى الله تعالى الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء في قوله تعالى: {وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ}. وقد بين النَّبي صلى الله عليه وسلم هذا لعدي بن حاتم رضي الله عنه لما سأله عن قوله تعالى: {ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَـٰرَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ} ـــ فبين له أنهم أحلوا لهم ما حرم الله، وحرموا عليهم ما أحل الله فاتبعوهم في ذلك، وأن ذلك هو اتخاذهم إياهم أرباباً.).

فما نراه اليوم هو قمة العبادة للطاغوت فهؤلاء الجند مستسلمون ظاهرا وباطنا للطواغيت مطيعون لهم لا يخالفون أمرهم يعاقبون من خرج عن شرع الطاغوت يتحاكمون إليهم ويرضون بحكمهم فكما أن من عبد الله تعالى بأن ألتزم أمره ونهيه ولم يخرج عنه ثم يعاقب من خالفه ويقاتل من خرج عنه فهذا هو ذروة سنام الإسلام ولا يصل إلى الذروة إلا من حقق ما تحت الذروة من عمل فكذلك هؤلاء الجند اليوم يحققون

ذروة عبادة الطاغوت بأن يقاتلون من أجله ويقدمون أنفسهم رخيصة من أجل المحافظة على الطاغوت وشرعه لذا تجد كثيرا ممن يؤمن بالطاغوت وشرعه اليوم لا يدخلون الجيش والشرطة والحرس الوطني لما يعلمون بأن العمل بهذه الوظائف يقتضي تقديم النفس من أجل الطاغوت وهم يجبنون عن هذا الأمر ولا يجرأ إلا من كمل إيمانه بالطاغوت فالدخول في جيش الطاغوت هو في حقيقته كمال الإيمان بالطاغوت فعباد الطاغوت منهم من يحقق أصل الإيمان بالطاغوت ومنهم من يحقق كمال الإيمان بالطاغوت وهذا يختلف باختلاف العبادة التي تصرف للطاغوت لذا لما علم الطاغوت أن هذه العبادة من أعظم العبادات له قدم لمن يعمل بهذه الوظيفة أجزل الرواتب والعطايا بحسب نوعية العمل في هذه الوظائف فمن الأعمال ما يباشر بها العسكري الموت فهذا أجره أعظم من غيره ومنها ما يكون فيه حماية للطواغيت أو الأماكن المهمة والحساسة لدولة الطاغوت فهذا يجزل له العطاء كذلك كما أن منهم ردءا لهؤلاء يختلف راتبه عن المباشر ثم إن أصبح هذا الردء مباشر زاد راتبه لأنه أصبح مباشر للقتال وكل هذا هو عين المضاهاة لدين الله تعالى فكل العبادات التي تصرف لله تعالى صرفت للطاغوت ومن أجله بل لم تصرف هذه العبادات لله تعالى فلم نر هؤلاء الجند يقاتلون من أجل نصرة دين الله تعالى ولا يدافعون عن أولياؤه ولا يقاتلون من كفر بالله ولا من خرج عن شرع الله تعالى بل قتالهم ونصرتهم للطاغوت ومن خرج عن شرع الطاغوت .

وبإجماعِ أهلِ العلمِ الذينَ يُقتَدَى بهم في الدينَ أنَّ مِنْ نَواقِضِ الإسلامِ: (مُظاهرةُ المُشركينَ ومَعُونَتِهم على المُسلمينَ)، كَمَا نَصَّ على ذلكَ شيخُ الإسلامِ محمَّد بن عبد الوهاب النَّجدي رحِمه اللهُ تعالى في نَواقضِ الإسلامِ .

قال الإمامُ ابنُ حزم رحِمه اللهُ تعالى في "المُحلَّى بالآثار" مَا نَصُّهُ (صَحَّ أنَّ قولَهُ تعالى:

{وَمَنْ يَتولّهُم مِنْكُم فإنَّه مِنْهم}، إنَّمَا هَوَ على ظَاهِرِهِ بأنَّه كافرٌ مِنْ جُملةِ الكُفَّارِ، وهذا حقٌ لا يَختلِفُ فيه اثنانٌ مِنْ المُسلمين).

وقالَ الشَّيخُ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشَّيخ رحِمه اللهُ تعالى بعدَ أنْ تَكلَّمَ على وُجُوبِ مُعاداةِ الكافرينَ: (... فكيفَ بِمَنْ أعَانَهم أو جرَّهم على بلادِ أهلِ الإسلامِ، أو أثنى عليهم، أو فَضَّلَهم بالعدلِ على أهلِ الإسلامِ، واختارَ دِيَارَهم وَمَسَاكِنَهم وَوِلايَتَهم وأحبَّ ظُهورَهم، فإنَّ هذا رِدَّةٌ صريحةٌ بالإتِّفاق، قالَ اللهُ تعالى: {وَمَنْ يَكفُر بالإيمانِ فقدْ حَبِطَ عَمَلُه وَهوَ في الآخرةِ مِنَ الخاسرين }

وقالَ الشَّيخُ عبد الله بن حميد رحِمَه اللهُ تعالى: (وأمَّا التَّوَلِّي: فَهوَ إكرامُهُم، والثَّناءُ عليهم, والنُصرةُ لهم والمُعاونةُ على المُسلمينَ، والمُعاشرةُ، وعدمُ البَراءةِ مِنهم ظَاهِراً، فهذا رِدَّةٌ مِنْ فَاعِلِهِ، يَجبُ أنْ تَجريَ عليه أحكامُ المُرتدِّينَ، كَمَا دَلَّ على ذلكَ الكتابُ والسُنَّةُ وإجماعُ الأئمَّةِ المُقتَدَى بِهِم)

وقالَ شيخ الإسلام محمد كَمَا في "الدُّررُ السُنيَّة" (واعْلَمُوا أنَّ الأدِلَّةَ على تَكفيرِ المُسلمُ الصالحُ إذا أشْرَكَ باللهِ أو صَارَ معَ المُشركينَ على المُوحِّدينَ – ولَمْ يُشْرِك – أكثرَ مِنْ أنْ تُحْصَرَ، مِنْ كلامِ اللهِ، وكلامِ رسولِهِ، وكلامِ أهلِ العلمِ كلِّهِم) وقالَ أيضاً في "الدُّرر": (أنَّ الرِّضَا بالكُفرِ كُفرٌ، صَرَّحَ بِهِ العُلماءُ، ومُوالاةُ الكُفَّارِ كُفرٌ) أهـــ.

قالَ الإمامُ ابن حزم رحِمَه اللهُ تعالى في "المُحلَّى بالآثار" في مَعْرضِ حَدِيثِهِ عن مَنْ لَحِقَ بدَارِ الكُفرِ والحَربِ مُختَاراً مُحَارِباً لِمَنْ يَليه مِنَ المُسلمينَ فقالَ: (فإنْ كانَ هناكَ مُحَارِباً للمُسلمينِ مُعيناً للكُفَّار بِخِدمَةٍ، أو كِتَابةٍ: فَهُوَ كافرٌ – وإنْ كانَ إنَّما يُقِيمُ هنالكَ

لِدُنيَا يُصِيبُها، وَهوَ كالذِّميِّ لَهم، وَهوَ قادرٌ على اللَّحاقِ بجَمْهَرةِ المُسلمينَ وأرضِهِم، فَمَا يَبْعُدُ عنِ الكفرِ، ومَا نَرَى له عُذراً – ونَسأَلُ اللهَ العافيةَ ..... وأمَّا مَنْ سَكَنَ في أرضِ القَرَامِطَةِ مُختَارَاً فكافرٌ بلا شكٍّ، لأنَّهم مُعْلِنُونَ بالكفرِ وتَركِ الإسلام – نَعوذُ باللهِ مِنْ ذلكَ – ثُمَّ قالَ: ولو أنَّ كافراً مُجاهداً غَلَبَ على دارٍ مِنْ دُورِ الإسلامِ، وأقرَّ المُسلمينَ بها على حالِهم، إلاَّ أنَّه هُوَ المَالكُ لها المُنفَردُ بنَفسِهِ في ضَبطِها وَهوَ مُعلِنٌ بدينٍ غيرِ الإسلامِ لَكَفَرَ بالبَقَاءِ معه كُلُّ مَنْ عاونَه، وأقامَ معه – وإنْ ادَّعى أنَّه مُسلمٌ –) أهـ.

وكلام أهل العلم هذا فيمن صدر منه موالاة مخرجة من الملة للكفار ولو لمرة واحدة فكيف بمن عقد معهم عقد الطاعة والنصرة وقتال أعدائهم والوقوف في صفهم بل يحكمون على كل من وقف في صف عدو الطاغوت بالخيانة والعمالة فمن أفشى أسرار جيش الطاغوت يعد مذنبا يجب عقوبته وقد تصل عقوبته إلى القتل بحسب الذنب الذي يقع فيه وقد يسجن إلى سنين طوال وقد رأينا ذلك بأم أعيننا عندما دخل البعثي صدام الكويت وصف بعض الناس ممن يعيش في الكويت مع صدام كيف عاملهم الطاغوت جابر بعد رجوعه إلى الكويت حيث عومل كل من وقف مع صدام بالخيانة والعمالة فمنهم من قتل ومنهم سجن ومنهم من طرد بل وتعدت العقوبة إلى كل من يكون من أقاربه حتى لو كانت القرابة بالجد البعيد ويعيش في الكويت فتوقفت جميع معاملاته لأن أحد أقاربه ساعد جيش صدام لما دخل الكويت وهذه ذروة الموالاة للطاغوت ونصرته .

بل يمنع من أراد دخول الجيش أو الشرطة أو الحرس الوطني من ذلك إذا ثبت أن أحد أقاربه قد أعان جيش صدام عندما دخل الكويت خشية أن يكون من أراد دخول العسكرية ممن يوافق قريبه على إعانته لصدام فهم يتشددون في دخول العسكرية لما يعلمون أن هذه الوظائف أهم الوظائف في الدولة على الإطلاق فلا تقوم دولة سواء

كانت دولة إسلام أو كفر إلا على وجود جيش كفؤ يحصل منه تمام الموالاة لهذه الدولة وحكمها وحكامها ومتى ما انفرط عقد الموالاة عند هذا الجيش انفرط حكم الدولة وسيطرتها على الناس بل ما سقطت دولة ولا قامت دولة إلا بوجود هذا الجيش وموالاته لحكم هذه الدولة سواء وجدت حرب بينهم وبين أعدائهم أو لم توجد كما يسمونه اليوم الإنقلاب الأبيض فمن وقف الجيش في صفه كانت له الدائرة ومن خرج عن صفه كانت عليه الدائرة فعلم بأن جيش الطاغوت هو يد الطاغوت الضاربة التي يصنعها على عينه ويغذيها أفضل ما عنده لأنه يعلم بأنه لا يستطيع كسب موالاته إلا بهذا ومتى ما فرط في هذا وقع التفريط في موالاة الجيش للطاغوت بقدر تفريط الطاغوت مع الجيش .

قال تعالى (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) [المائدة] .

يقول ابن تيمية رحمه الله عن هذه الآية: (فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف "لو" التي تقتضي مع انتفاء الشرط انتفاء المشروط، فقال : {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ}؛ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء؛ ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ومثله قوله تعالى: {لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمنا، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً)

قال ابن كثير رحمه الله (يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام, وعلى لسان عيسى بن مريم, بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه قال العوفي, عن ابن عباس: لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان, ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم, فقال تعالى {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون} أي كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم, ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبوه, فقال: {لبئس ما كانوا يفعلون},).

فإذا كان من ترك النهي عن المنكر مع قدرته على النهي وأقام مع أهل المنكر يستحق الطرد من رحمة الله تعالى فكيف بمن وقف معهم وأعانهم على كفرهم لا مجرد الجلوس معهم فهذا الصنف من أهل المنكرات الذي يجب نهيهم فهم داخلون في اللعن من باب أولى فهم من الصنف الذي عصى واعتدى وأعان الكفار على كفرهم وساعدهم على نشره وفرضه على الناس فهذا من أكابر الملعونين الذين ذكروا في كتاب الله تعالى .

وفي الآية دليل كذلك على لعن من وقف مع الكفار وأعانهم برأيه وقلمه وفتواه على الموحدين وسوغ لهم كفرهم من علماء الطواغيت فهؤلاء لا يختلف حكمهم عن حكم جند الطاغوت بل هم من جند الطاغوت ومن طائفة الطاغوت الممتنع بها الذي يجب قتالهم والتشريد بهم من خلفهم .

وفي الآية دليل على أن ترك إنكار المنكر على الكفار من أعظم أسباب موالاة الكفار فإن علماء بني إسرائيل لما كانوا ينكرون المنكر ولكن جلسوا مع أهل المنكر مع عدم توبتهم من هذا المنكر أفضى إلى توليهم فحكم الله تعالى بردهم وأهم لو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر لما تولوهم وهذا كذلك دليل آخر على كفر علماء الطواغيت وأن سبب كفرهم وما يدعونه أهم ينكرون على الطواغيت ثم لا يفارقوهم بعد نصحهم بل يكونون معهم ويدافعون عنهم فأصبحوا بهذا من كبار أوليائهم بسبب جلوسهم معهم فحتى لو صدقوا بقولهم أهم ينصحوهم فإن الله تعالى حكم بأن من نصح صاحب منكر ثم جلس معه ولم يفارقه مع عدم تركه لمنكره فإن هذا ولا شك يفضي إلى توليه ونصرته بنص كتاب الله تعالى وهذا هو واقع علماء الطواغيت .

وفيه كذلك دليل على كفر كل من ترك قتال الطواغيت الواجب مع قدرته عليه فإن قتال المرتدين من أعظم الإنكار عليهم بعد دعوته ورجوعهم إلى الحق فمن ترك قتالهم فإنه لا محالة سيدخل في دينه وطاعته ويصبح من أوليائه وهذا ما نراه من غالب الناس اليوم فهم لما تركوا قتال الطاغوت وركنوا إلى الدعة والدنيا وخافوا من الموت تركوا دينهم وهذا معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ :« إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ».

وفي الحديث عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ». فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ

الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ». فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ».

فإن من ركن إلى الدنيا وترك القتال الواجب مع قدرته وإقامته في دار الردة وعدم هجرته فإنه قد ترك دينه ولا يرفع هذا الذل عنه حتى يرجع إلى دينه ويطلق الدنيا ويقاتل في سبيل الله تعالى وهذا حكم من ترك الجهاد الواجب فكيف بمن أصبح مجاهدا في سبيل الطاغوت معينا له فهذا كفره من باب أولى فكان سبب تأصل الكفر في الناس اليوم هو أهم تركوا أولا قتال الطواغيت في أول ردهم ثم بعد ذلك دخلوا في دينهم واستمرأ الناس هذا الكفر وتوارثوه أبا عن جد وورثوه أبنائهم فتأصل الكفر فيهم .

وقال تعالى ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧)﴾ [التوبة] .

قال ابن كثير رحمه الله (وكذا روي عن عطاء الخراساني, وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا, ولهذا قال تعالى: {حتى يتبين لك الذين صدقوا} أي في إبداء الأعذار {وتعلم الكاذبين} يقول تعالى هلا تركتهم لما استأذنوك فلم تأذن لأحد منهم في القعود لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب فإنهم قد كانوا مصرين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه. ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله فقال: {لايستأذنك} أي في القعود عن الغزو {الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم} لأنهم يرون الجهاد قربة ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا {والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك} أي في القعود ممن لا عذر له {الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر} أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم {وارتابت قلوبهم} أي شكت في صحة ما جئتهم به {فهم في ريبهم يترددون} أي يتحيرون يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابتة في شيء فهم قوم حيارى هلكى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً.).

وقال تعالى {وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ }[الأنفال:٧٣]

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: (وما جاء في القرآن من النهي والتغليظ الشديد في موالاتهم وتوليهم، دليل على أن أصل الأصول لا استقامة له ولا ثبات له إلا بمقاطعة أعداء الله وحربهم وجهادهم والبراءة منهم، والتقرب إلى الله بمقتهم وعيبهم، وقد قال تعالى لما عقد الموالاة بين المؤمنين وأخبر أن الكافرين بعضهم أولياء بعض قال {إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}[الأنفال، من الآية:

٧٣]، وهل الفتنة إلا الشرك، والفساد الكبير هو انتثار عقد التوحيد والإسلام وقطع ما أحكمه القرآن من الأحكام والنظام؟)

وهذا هو حال أكثر الناس اليوم ركنوا إلى الطاغوت ودخلوا في طاعته وحسنوا حكمه وضللوا من خرج عليه وكل هذا أثر ترك القتال الواجب والإعداد له فترى أكثرهم يستعظم قتال الطاغوت بل لا يعده طاغوت بل يعده ولي أمر يجب القتال من دونه لا قتاله بل قتال من قاتله فهي كما قال تعالى {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ }[النـــور:٤٠].

قال تعالى (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) [النساء] .

قال ابن جرير رحمه الله (يقول الله لنبيه يا محمد: {بشر المنافقين} الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء؛ يعني أنصاراً وأخلاء من دون المؤمنين؛ يعني المؤمنين، {أيبتغون عندهم العزة}؛ يقول أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟ {فإن العزة لله جميعا}، يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأقلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء فيعزهم ويمنعهم).

فهذا هو حال الناس اليوم وحال جند الطاغوت يدخل في هذه الآية من باب أولى فإنه يدخلون في دين الطاغوت وينصرونه ويمتنعون به لما يرون من قدرته فإنهم وضعف المسلمين فحكم الله تعالى عليهم بالنفاق المخرج من الملة وهذا من أعظم سوء الظن بالله

تعالى فإن المؤمنين حتى لو كانوا مستضعفين فإن ركنهم الوثيق الذي يركنون إليه هو الله تعالى فلو كانوا يؤمنون بما يؤمن به المؤمنون لما ركنوا إلى الطاغوت ودخلوا في طاعته وحقيقة هؤلاء عند قوة المؤمنين ذكرها الله تعالى في كتابه {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً }[النساء:١٤١] فجند الطاغوت اليوم يقولون للطاغوت نحن نحميك ونمنعك من المؤمنين ويظهرون هذا غاية الإظهار ولا يخشون من التصريح بهذا لما يرون من استضعاف المسلمين وعدم مكنتهم ولو كان للمؤمنين الصولة فإنهم يسارعون في الدخول مع المؤمنين ويقولون لهم ألم نظهر الإسلام ونكون معكم وكل هذا من أجل الدنيا وهذا ليس بعذر لهم بنص الكتاب وإجماع المسلمين قال تعالى (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) [النساء].

فإرادتهم للدنيا لم يمنع كفرهم فترك للجهاد وامتناعهم من الخروج مع المسلمين وقطع المودة مع المسلمين وجعله من نعم الله تعالى عليه أنه لم يخرج معهم وسوء ظنهم بالله تعالى .

قال ابن كثير رحمه الله (وقوله تعالى: {وإن منكم لمن ليبطئن} قال مجاهد وغير واحد: نزلت في المنافقين, وقال مقاتل بن حيان: {ليبطئن} أي ليتخلفن عن الجهاد, ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه, ويبطيء غيره عن الجهاد كما كان عبد الله بن أبي بن سلول ـــ قبحه الله ـــ يفعل, يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج

فيه. وهذا قول ابن جريج وابن جرير, ولهذ قال تعالى إخباراً عن المنافق أنه يقول: إذا تأخر عن الجهاد {فإن أصابتكم مصيبة} أي قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة { قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً} أي إذ لم أحضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه, ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل. {ولئن أصابكم فضل من الله} أي نصر وظفر وغنيمة {ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة} أي كأنه ليس من أهل دينكم {يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً} أي بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه. وهو أكبر قصده وغاية مراده. ثم قال تعالى: {فليقاتل} أي المؤمن النافر {في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة} أي يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا, وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم, ثم قال تعالى: {ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً} أي كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل, كما ثبت في الصحيحين: وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة.).

وقولهم للمؤمنين (ألم نكن معكم)لأنهم ظاهرا مع المسلمين حكمهم حكمهم ولو لم يكونوا مع المؤمنين لما سموا منافقين وكانوا مشركين حكمهم حكم كفار قريش وغيرهم من المشركين لذا لما يدال للمشركين على المسلمين لا يقولون للمشركين (ألم نكن معكم)و إنما يقولون لهم (أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)قال ابن كثير رحمه الله (أي ساعدناكم في الباطن, وما ألوناهم خبالاً وتخذيلاً حتى انتصرتم عليهم,)و مع ذلك حكم الله تعالى بكفر هؤلاء المنافقين لما ساعدوا المشركين على المؤمنين باطنا كما قال تعالى في سياق هذه الآيات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) [النساء] .

فكيف بجند الطاغوت الذين لا يخالف عاقل بأنهم مع الطاغوت ومن أهله وحزبه وقد سُئِل الإمام أحمد رحمه الله، سأله السجان عندما كان في السجن، قال: يا أبا عبد الله، الحديث الذي روي عن الظلمة وأعوانهم صحيح؟ فأجاب الإمام أحمد: نعم. قال السجان: فأنا من أعوان الظلمة. قال الإمام أحمد: فأعوان الظلمة من يأخذ شعرك، ويغسل ثوبك، ويُصلح طعامك، ويبيع ويشتري منك فأما أنت فمن أنفسهم)وهم يظهرون هذا ولا يستحون ولا يخشون من إظهار ذلك لما يعلمون من ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على قتالهم وامتناعهم بالطاغوت والدخول في سلطانه بل هم سلطان الطاغوت ويده الضاربة لكل من تسول له نفسه الخروج على الطاغوت أو القيام عليه فكفرهم لا يخالف فيه من عرف أصل دينه على الحقيقة .

وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره بسند حسن لغيره (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله).

فمن أعظم المجامعة أن يكون المرء في جيش الطاغوت وأولياؤه يطيع أمره ويقبل قوله ويقاتل من أجله فمن كان جامع المشرك وسكن معه مثله فجند الطاغوت أولى بالدخول في هذا الحكم .

وفي الصحيح عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لاِبْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ. قَالَ « وَاللَّهِ لاَ تَذَرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا » .

وكان العباس قد خرج مع جيش المشركين مكرها وأسر وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا عباس اِفْدِ نفسك وابن أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو فإنك ذو مال "قال: إني

كنت مُسلماً ولكن القوم استكرهوني، قال صلى الله عليه وسلم" : الله أعلم بما تقول إن كنت ما تقول حقاً إن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا).

فكذلك كل من كان مع الطاغوت ومن جنده فظاهره الكفر ويحكم عليه بعينه فيستحل دمه وماله حتى لو كان باطنا مكره فكيف بمن دخل جيش الطاغوت مختارا راضيا من أجل الدنيا فهذا كفره لا يختلف عليه أحد من أهل العلم .

والمكره لا يجوز له المقاتلة مع المشركين إن خرج معهم وعليه أن يلقي سلاحه قال شيخ الإسلام رحمه الله (فلا ريب أن هذا يجب عليه إذا أكرِه على الحضور أن لا يُقاتِل وإن قتله المسلمون، كما لو أكرهه الكفار على حضور صفهم ليقاتِل المسلمين، وكما لو أكره رجلٌ رجلاً على قتْل مسلم معصوم، فإنه لا يجوز له قتله باتفاق المسلمين وإن أكرهه بالقتل، فإنه ليس حفظ نفسه بقتل ذلك المعصوم أولى من العكس).

قال القرطبي رحمه الله (أجمع العلماء على أن من أكرِه على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمته بجَلْدٍ أو غيره، ويصبر على البلاء الذي نزل به، ولا يحل له أن يفدي نفسه بغيره، ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة).

ألا فليتق الله تعالى من ينتسب للعلم والمشيخة وليصدعوا بالحق وليظهروا دين الله كما أمرهم الله تعالى {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[آل عمران:١٨] تعالى وإن أوذوا وعذبوا فإن هذا هو طريق الأنبياء جميعا {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ }[الذاريات:٥٢] وقال تعالى {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ

كَانَ عِقَابِ }[غافر:٥] وليعلموا بأن الله ناصر حزبه وهازم حربه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[محمد:٧].

واعلموا أن النكوص عن نصرة هذا الدين وإظهاره من أعظم أسباب الطرد من رحمة الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ }[البقرة:١٥٩] فكيف لو كتموا الحق وأظهروا الباطل .

وليعلموا أن زرق الله تعالى لا يطلب بمعصيته وأن من أعظم أسباب محوق الرزق كتم الحق قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[البقرة:١٧٤] فمن ظن أن من أظهر الحق وصدع به سيقطع رزقه ويمنع حقه فهذا من أعظم سوء الظن بالله تعالى فإن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين وهو الغني الحميد وهو القوي العزيز فإذا كان ملوك الدنيا ينصرون من نصرهم من أولياؤهم فهل يظن بالله تعالى أن يترك من يريد إعلاء كلمته ونصرة دينه نهبة لأعدائهم كيف والله تعالى بيده خزائن السموات والأرض {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ }[الحجر:٢١] {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ }[المنافقون:٧].

فعلى الموحد أن يركن إلى الله تعالى لا إلى غيره وأنه إذا ركن إلى الله تعالى فقد ركن إلى ركن وثيق وأن من ركن إليه فلن يخذله الله تعالى ومن نصره الله تعالى فلن يغلب {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }[آل عمران:١٦٠] ولا يكون الخذلان إلا بالركون إلى الطواغيت وترك التوكل على الله تعالى فيكله الله تعالى إلى من ركن إليه وهذا هو قمة الخذلان {وَلاَ

تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ }[هود:١١٣] .

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله (وأكثرهم يرى السكوت عن كشف اللبس في هذه المسألة، التي اغتر بها الجاهلون، وضل بها الأكثرون، وطريقة الكتاب والسنة وعلماء الأمة تخالف ما استحله هذا الصنف من السكوت، والإعراض في هذه الفتنة العظيمة، وإعمال ألسنتهم في الاعتراض على من غار لله ولكتابه ولدينه. فليكن منك يا أخي طريقة شرعية، وسيرة مرضية، في رد ما ورد من الشبه، وكشف اللبس، والتحذير من فتنة العساكر، والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وهذا لا يحصل مع السكوت، وتسليك الحال على أي حال، فاغتنم الفرصة، وأكثر من القول في ذلك، واغتنم أيام حياتك، فعسى الله أن يحشرنا وإياك في زمرة عساكر السنة والقرآن، والسابقين الأولين، من أهل الصدق والإيمان).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.